أ. د. علي جمعة

الجهاد في الإسلام



نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع



أ.د. على جمعة

مفتي الديار المصرية



اسم الكتاب: الجهاد في الإسلام.
المؤلف: أستاذ دكتور/ علي جمعة.
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم.
تاريخ النشر: الطبعة الثالثة - يونية 2007م.
رقم الإيداع: 2872 / 2005
الترقيم الدولي: ISBN 977-14-2995-7

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: 3466434(02)-3472864(02) فاكس: 3462576(02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) - فاكس 8330296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع: press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة - ص. ب : 96 الفجالة - القاهرة.
ت: 5909827 (02) - 5908895 (02) - فاكس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء، الرقم المجاني 08002226222
البريد الإلكتروني لخدمة العملاء:
customerservice@nahdetmisr.com
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: sales @nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدى)
ت. 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 13 شارع المستشفى الدولى التخصصى - متفرع من شارع عبد السلام عارف - مدينة السلام
ت: 2221866 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يقول الله تعالى مخاطبًا نبيَّه محمدًا ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1].

إن هذا البيان القرآني بإطاره الواسع الكبير، الذي يشمل المكان كله فلا يختص بمكان دون مكان، والزمان بأطواره المختلفة وأجياله المتعاقبة فلا يختص بزمان دون زمان، والحالات كلها؛ سلمها وحربها، فلا يختص بحالة دون حالة، والناس أجمعين؛ مؤمنهم وكافرهم عربهم وعجمهم، فلا يختص بفئة دون فئة؛ ليجعل الإنسان مشدوهًا متأملاً في عظمة التوصيف القرآني لحقيقة نبوة سيد الأولين والآخرين: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ، رحمة عامة شاملة، تجلت مظاهرها في كل موقف لرسول اللّه ﷺ تجاه الكون والناس من حوله.

والجهاد في الإسلام حرب مشروعة عند كل العقلاء من بني البشر، وهي من أنقى أنواع الحروب من جميع الجهات:

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

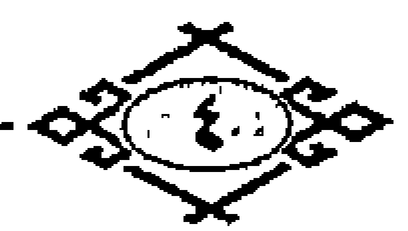


(١) من ناحية الهدف.
(٢) من ناحية الأسلوب.
(٣) من ناحية الشروط والضوابط.
(٤) من ناحية الإنهاء والإيقاف.
(٥) من ناحية الآثار أو ما يترتب على هذه الحرب من نتائج.

وهذا الأمر واضح تمام الوضوح في جانبي التنظير والتطبيق في دين الإسلام وعند المسلمين، وبالرغم من الوضوح الشديد لهذه الحقيقة، إلا أن التعصب والتجاهل لحقيقة الدين الإسلامي الحنيف، والإصرار على جعله طرفًا في صراع، وعدوًّا للمحاربة، أحدث لبسًا شديدًا في هذا المفهوم ـ مفهوم الجهاد ـ عند المسلمين، حتى شاع أن الإسلام قد انتشر بالسيف، وأنه يدعو إلى الحرب وإلى العنف، ويكفي في الرد على هذه الحالة من الافتراء، ما أمر اللّه به من العدل والإنصاف، وعدم خلط الأوراق، والبحث عن الحقيقة كما هي، وعدم الافتراء على الآخرين، حيث قال سبحانه في كتابه العزيز: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [1].

ولقد فطن لبطلان هذا الادعاء كاتب غربي كبير هو توماس كارليل، حيث قال في كتابه «الأبطال وعبادة البطولة» ما ترجمته: «إن اتهامه ـ أي سيدنا محمد ﷺ ـ بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير

(١) آل عمران: ٧١.



مفهوم؛ إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجلٌ فَرْدٌ سيفه ليقتل به الناس، أو يستجيبوا له، فإذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم، فقد آمنوا به طائعين مصدقين، وتعرضوا للحرب من غيرهم قبل أن يقدروا عليها»[1].

ويقول المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب» ـ وهو يتحدث عن سر انتشار الإسلام في عهده ﷺ وفي عصور الفتوحات من بعده ـ: «قد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة...، ولم ينتشر القرآن إذن بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخرًا كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند ـ التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل ـ ما زاد عدد المسلمين إلى خمسين مليون نفس فيها[*]... ولم يكن القرآن أقل انتشارًا في الصين التي لم يفتح العرب أي جزء منها قط، وسترى في فصل آخر سرعة الدعوة فيها، ويزيد عدد مسلميها على عشرين مليونًا في الوقت الحاضر»[2].

هذا وقد مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاثة عشر عامًا، يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد كان نتاج هذه المرحلة أن دخل في الإسلام خيار المسلمين من الأشراف وغيرهم، وكان الداخلون أغلبهم من الفقراء، ولم يكن لدى رسول الله

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص١٦٦ ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(★) يبلغ عدد المسلمين في الهند حاليًا نحو ١٣٠ مليون نسمة يشكلون نحو ١١٪ من مجموع السكان.

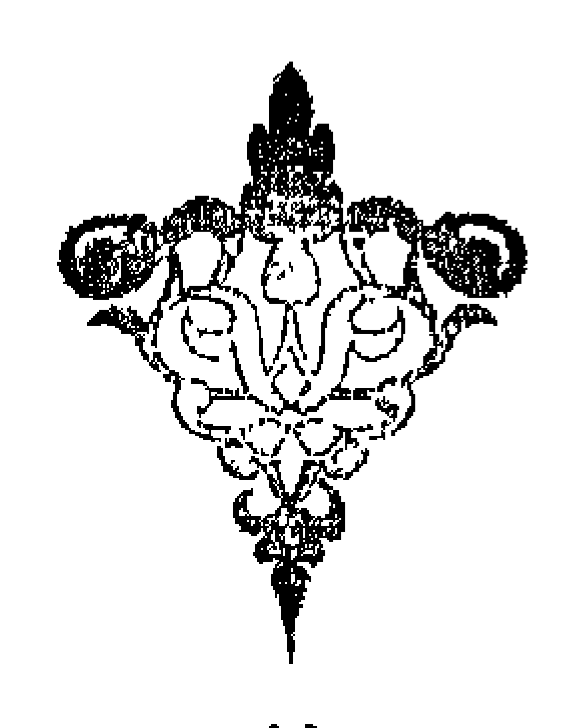
(٢) حضارة العرب غوستاف لوبون ص١٢٨، ١٢٩ ط. الهيئة المصرية للكتاب.

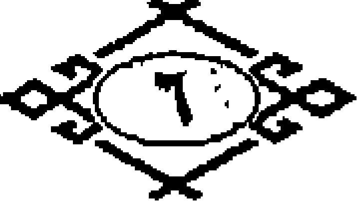


ﷺ ثروة عظيمة يُغري بها هؤلاء الداخلين، و لم يكن إلا الدعوة، والدعوة وحدها، و لم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تحمَّل المسلمون ـ لاسيما الفقراء والعبيد ومن لا عصبية له منهم ـ من صنوف العذاب وألوان البلاء ما تعجز الجبال الرواسي عن تحمله، فما صرفهم ذلك عن دينهم وما تزعزعت عقيدتهم، بل زادهم ذلك صلابة في الحق، وصمدوا صمود الأبطال مع قلتهم وفقرهم، وما سمعنا أن أحدًا منهم ارتدّ سخطًا عن دينه، أو أغرته مغريات المشركين في النكوص عنه، وإنما كانوا كالذهب الإبريز لا تزيده النار إلا صفاء ونقاء، وكالحديد لا يزيده الصهر إلا قوة وصلابة.

وسنتكلم هنا على الجانبين التنظيري والتطبيقي، ونقصد بالتنظيري ما ورد في مصادر الإسلام (الكتاب والسنة)، ونعني بالتطبيقي ما حدث عبر القرون ابتداء من الحروب التي شارك فيها النبي ﷺ، وانتهاء بعصرنا الحاضر، ثم نختم ببيان هذه النقاط الخمس التي ذكرناها سابقًا.

المؤلف





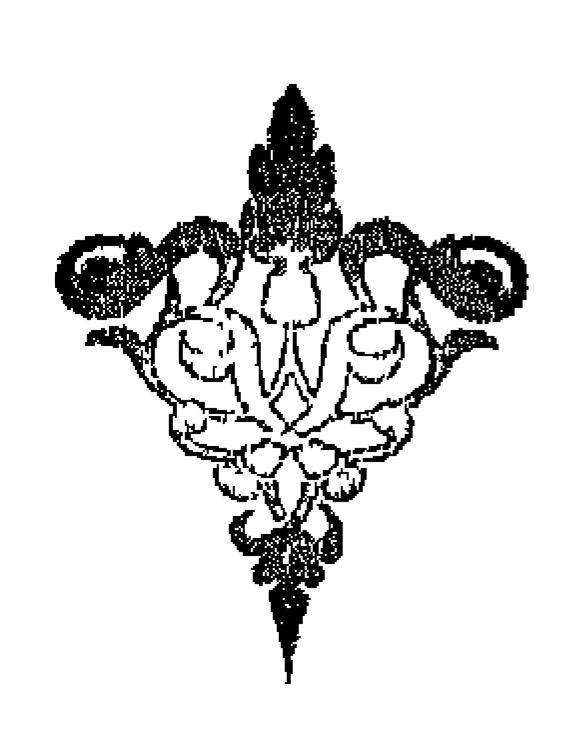
أولاً
الجانب التنظيري



ورد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية آيات وأحاديث تبيِّن شأن الجهاد في الإسلام، ويَرَى المُطالِع لهذه الآيات والأحاديث أن المجاهد في سبيل اللَّه هو ذلك الفارس النبيل الأخلاق، المدرب على أخلاق الفروسية العالية الراقية؛ حتى يستطيع أن يمتثل إلى الأوامر والنواهي الربانية التي تأمره بضبط النفس قبل المعركة وأثناءها وبعدها، فقبلها يجب عليه أن يحرر نفسه من كل الأطماع، وألاَّ يخرج مقاتلاً من أجل أي مصلحة شخصية، سواء أكانت تلك المصلحة من أجل نفسه أو من أجل الطائفة التي ينتمي إليها، أو من أجلٍ أي عرض دنيوي آخر، وينبغي أن يتقيد بالشروط التي أحلَّ اللَّه فيها الجهاد، وأن يجعل ذلك لوجه الله تعالى، ومعنى هذا أنه سوف يلتزم بأوامر اللَّه، ويستعد لإنهاء الحرب فورًا إذا ما فقدت الحرب شرطًا من شروط حلِّها، أو سببًا من أسباب استمرارها، وسواء أكان ذلك الفارس منتصرًا أم أصابه الأذى من عدوه، فإن اللَّه يأمره بضبط النفس، وعدم تركها للانتقام، والتأكيد على الالتزام بالمعاني العليا، وكذلك الحال بعد القتال، فإنه يجب عليه أن يجاهد نفسه الجهاد الأكبر؛ حتى لا يتحوَّل الفارس المجاهد إلى شخص مؤذٍ لمجتمعه أو لجماعته أو للآخرين، وبالرغم من أن لفظة

الجهاد إذا أطلقت انصرف الذهن إلى معنى القتال في سبيل اللّه إلاَّ أن الرسول ﷺ قد أسماه بالجهاد الأصغر، وسمى الجهاد المستمر بعد القتال بالجهاد الأكبر؛ لأن القتال يستمر ساعات أو أيام، وما بعد القتال يستغرق عمر الإنسان كله.

وفيما يلي نورد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحدثت عن هذه القضية، ثم بعد ذلك نستخرج منها الأهداف والشروط والضوابط والأساليب، ونعرف منها متى تنتهي الحرب، والآثار المترتبة على ذلك.



القـــرآن الكريـــم

(١) ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ ﴾[1].

(٢) ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

(٣) ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[3].

(٤) ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ ﴾[4].

---

(١) البقرة: ١٩٠-١٩١.
(٢) البقرة: ١٩٢-١٩٣.
(٣) البقرة: ٢١٦.
(٤) البقرة: ٢١٧.

(٥) ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[1].

(٦) ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[2].

(٧) ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾[3].

(٨) ﴿ فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[4].

(٩) ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾[5].

---

(١) آل عمران: ١٤٦.
(٢) آل عمران: ١٦٩.
(٣) آل عمران: ١٩٥.
(٤) النساء: ٧٤.
(٥) النساء: ٧٥.

(١٠) ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾(١).

(١١) ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨ ﴾(٢).

(١٢) ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ ﴾(٣).

(١٣) ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٤).

(١٤) ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝٤٧ ﴾(٥).

(١٥) ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٦).

---

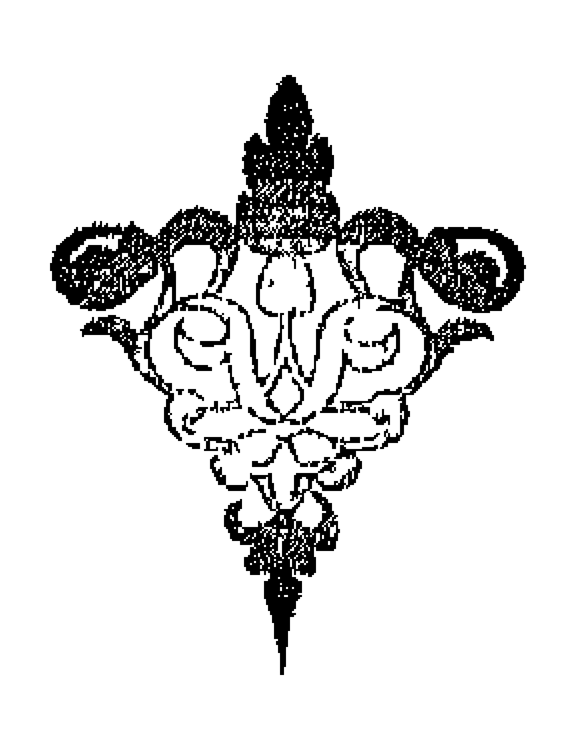
(١) النساء: ٩٠.
(٢) الأنفال: ٧-٨.
(٣) الأنفال: ١٧.
(٤) الأنفال: ٣٩.
(٥) الأنفال: ٤٧.
(٦) الأنفال: ٦١.

(١٦) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١)

(١٧) ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾(٢).

(١٨) ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ ﴾(٣).

(١٩) ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ ﴾(٤).



(١) الأنفال: ٧٠.
(٢) التوبة. ٥–٦.
(٣) التوبة: ١١١.
(٤) الحج: ٣٩–٤٠.



الأحاديث النبوية الشريفة

(١) روى الترمذى في سننه عن النعمان بن مقرن: «كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرًا على جيش أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا وقال: «**اغزوا بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليدًا، فإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال ـ أو خِلال ـ أيها أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم: ادعهم إلى الإسلام، والتحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم إن فعلوا ذلك فإن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، وإن أبوا أن يتحولوا فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم ما يجري على الأعراب، ليس لهم في الغنيمة والفيء شيء إلاّ أن يجاهدوا، فإن أبوا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم، وإذا حاصرت حصنًا فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيّه؛ فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيّه، واجعل لهم ذمتك وذمم أصحابك؛ لأنكم إن تخفروا ذمتكم وذمم أصحابكم خير من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلوهم، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا**»[1].

(٢) عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال: تكفّل الله لمن جاهد

(١) رواه الترمذى.



في سبيله ـ لا يخرجه من بيته إلاَّ جهاد في سبيله وتصديق كلمته ـ بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة»[1].

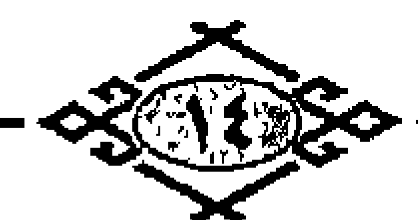
(٣) عن وهب بن منبه، سألت جابرًا عن شأن ثقيف إذ بايعت، قال: اشترطتْ على النبي ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد، وأنه سمع النبي ﷺ بعد ذلك يقول: «سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا»[2].

(٤) عن سعد بن زيد بن سعد الأشهلي أنه أهدى إلى رسول الله ﷺ سيفًا من نجران، فلما قدم عليه أعطاه محمد بن مسلمة وقال: «جاهد بهذا في سبيل اللّه، فإذا اختلفت أعناق الناس؛ فاضرب به الحجر، ثم ادخل بيتك، وكن حلْسًا ملقى حتى تقتلك يد خاطئة أو تأتيك منية قاضية».
قال الحاكم: «فبهذه الأسباب وما جانسها كان اعتزال من اعتزل عن القتال مع علي ـ رضى اللّه عنه ـ وقتال من قاتله»[3].

(٥) عن سعيد بن جبير قال: «خرج علينا أو إلينا ابن عمر، فقال رجل: كيف تَرَى في قتال الفتنة؟ فقال: وهل تدري ما الفتنة؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين، وكان الدخول عليهم فتنة وليس كقتالكم على الملك»[4].

---

(١) رواه مسلم ـ كتاب الإمارة ـ باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.
(٢) رواه أبو داود في سننه ـ كتاب الخراج والإمارة والفيء ـ باب ما جاء في خبر الطائف.
(٣) رواه الحاكم في مستدركه ـ كتاب معرفة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ. ذكر إسلام أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ.
(٤) رواه البخاري ـ كتاب التفسير ـ باب قول الله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾.



(٦) عن عبد اللّه بن عمرو رضي اللّه عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أريد الجهاد، فقال: أحيٌّ والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما»[١].

ويتضح من هذه الآيات والأحاديث أن هدف الحرب في الإسلام يتمثل في الآتي:

(١) رد العدوان والدفاع عن النفس.
(٢) تأمين الدعوة إلى اللّه وإتاحة الفرصة للضعفاء الذين يريدون اعتناقها.
(٣) المطالبة بالحقوق السليبة.
(٤) نصرة الحق والعدل.

ويتضح لنا أيضا أن من شروط وضوابط الحرب:

(١) النبل والوضوح في الوسيلة والهدف.
(٢) لا قتال إلا مع المقاتلين ولا عدوان على المدنيين.
(٣) إذا جنحوا للسلم وانتهوا عن القتال؛ فلا عدوان إلا على الظالمين.
(٤) المحافظة على الأسرى ومعاملتهم المعاملة الحسنة التي تليق بالإنسان.
(٥) المحافظة على البيئة، ويدخل في ذلك النهي عن قتل الحيوان لغير مصلحة وتحريق الأشجار، وإفساد الزروع والثمار، والمياه، وتلويث الآبار، وهدم البيوت.
(٦) المحافظة على الحرية الدينية لأصحاب الصوامع والرهبان وعدم التعرض لهم.

(١) مصنف عبدالرازق ـ كتاب الجهاد ـ باب الرجل يغزو وأبوه كاره.



الآثار المترتبة على الجهاد

يتضح لنا مما سبق أن الجهاد في الإسلام قد اتسم بنبل الغاية والوسيلة معًا، فلا غرو أن تكون الآثار والثمار المتولدة عن هذا الجهاد متناسقة تمامًا في هذا السياق من النبل والوضوح؛ لأن النتائج فرع عن المقدمات، ونلخص هذه الآثار في النقاط التالية:

(١) تربية النفس على الشهامة والنجدة والفروسية.

(٢) إزالة الطواغيت الجاثمة فوق صدور الناس، وهو الشر الذي يؤدي إلى الإفساد في الأرض بعد إصلاحها.

(٣) إقرار العدل والحرية لجميع الناس؛ مهما كانت عقائدهم.

(٤) تقديم القضايا العامة على المصلحة الشخصية.

(٥) تحقيق قوة ردع مناسبة لتأمين الناس في أوطانهم.

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الحج:

﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾(١).

قال الإمام القرطبي عند تفسيره لهذه الآية:

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾: أي لولا ما شرعه الله

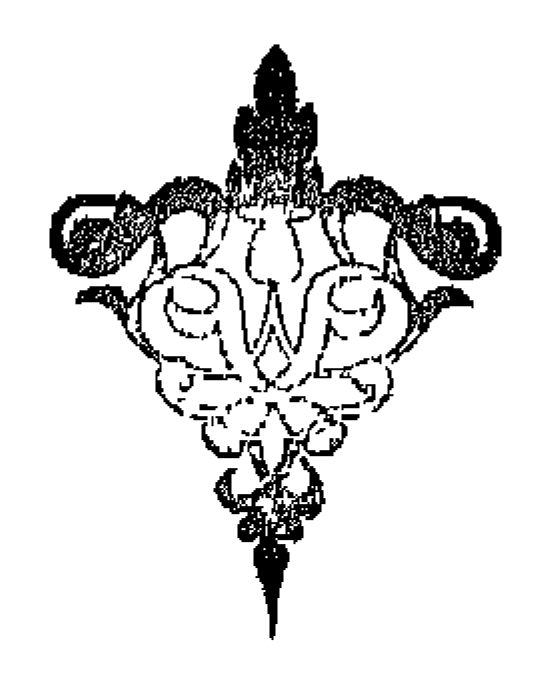
(١) الحج: ٤٠.

تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء، لاستولى أهل الشرك، وعطَّلوا ما بيَّنته أرباب الديانات من مواضع العبادات، ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة.

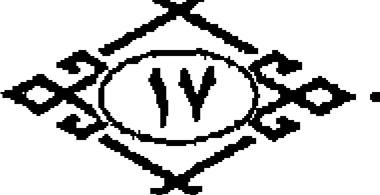
فالجهاد أمر متقدم في الأمم، وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات؛ فكأنه قال: أُذن في القتال، فليقاتل المؤمنون.

ثم قوي هذا الأمر في القتال بقوله: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾ الآية.... أي لولا القتال والجهاد؛ لتغلب على الحق في كل أمة، فمن استبشع من النصارى والصابئين الجهاد؛ فهو مناقض لمذهبه؛ إذ لولا القتال لما بقي الدين الذي يذب عنه. وأيضًا هذه المواضع التي اتخذت قبل تحريفهم وتبديلهم وقبل نسخ تلك الملل بالإسلام إنما ذكرت لهذا المعنى؛ أي لولا هذا الدفع؛ لهدمت في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد ﷺ المساجد.

((لهدمت)) من هدمت البناء أي نقضته فانهدم، قال ابن عطية: هذا أصوب ما قيل في تأويل الآية[1].



(١) القرطبي ج١٢ تفسير سورة الحج.



ثانيًا
الناحيــة التطبيقيــة



(١) حــروب النبــي ﷺ:

(أ) الحرب ظاهرة اجتماعية:

الحرب ظاهرة إنسانية قديمة قِدم الإنسان على ظَهْر هذه البسيطة، فمنذ وجد الإنسان وهو يصارع ويحارب، وكعلاقة من العلاقات الاجتماعية الحتمية نشأت الحرب.

فالاحتكاك بين البشر لابد وأن يولِّد صدامًا من نوع ما. لقد جُبل الإنسان على غريزة التملك التي تدعوه إلى التشبث بما يملكه، حيث إن هذه الغريزة هي التي تحفظ عليه البقاء في الحياة، وهي بالتالي التي تتولد عنها غريزة المقاتلة في أبسط صورها؛ دفاعًا عن حقه في الاستمرار والحياة، وقد تتعقد نفسية الإنسان وتصبح حاجاته ومتطلباته مركبة، فلا يقاتل طالبًا للقوت أو دفاعًا عنه فقط، وإنما يقاتل طلبًا للحرية، ورفعًا للظلم، واستردادًا للكرامة.

ويفصل العلامة ابن خلدون هذه الحقيقة في مقدمته فيقول:

«اعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها اللَّه، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض، ويتعصب لكل منها أهل عصبيته، فإذا تذامروا لذلك وتوافقت الطائفتان: إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع. كانت

الحرب، وهو أمر طبيعي في البشر، إما غيرة ومنافسة، وإما عدوانًا، وإما غَضَبًا للّه ولدينه، وإما غضبًا للملك وسعيًا في تمهيده))[1].

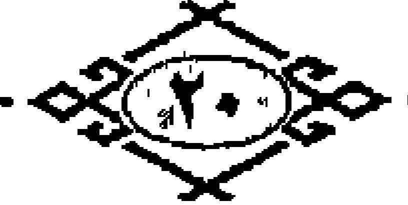
(ب) الحرب في الكتب المقدسة قبل الإسلام:

إذا ما تجاوزنا الأمم والحضارات البشرية، وتأملنا في الكتب السماوية المقدسة (التوراة ـ الإنجيل)، نرى أن هذه الكتب المقدسة قد تجاوزت الأسباب المادية الغريزية التي يقاتل الإنسان من أجلها إلى أسباب أكثر رقيًّا وحضارة.

فبعد أن كان الإنسان يقاتل رغبة في امتلاك الطعام أو الأرض، أو رغبة في الثأر الشخصي من الآخرين، أو حتى ردًا للعدوان، نرى أن الكتب المقدسة قد أضافت أسبابًا أخرى، أسبابًا إلهية تسمو بالبشرية عن الدنايا وظلم الآخرين، إلى بذل النفس إقامةً للعدل ونصرةً للمظلوم ومحاربةً للكفر والخروج عن منهج اللّه.

لقد حددت الكتب السماوية المناهج والأطر التي يسمح فيها بإقامة القتال، وعَبَرَتْ بالإنسان مرحلة بناء المجد الشخصي المؤسس على الأنا، إلى مرحلة التضحية من أجل المبادئ والمثل الإلهية العليا، التي تعمل في إطار الجماعة البشرية، لا في محيط الفرد الواحد.

(١) تاريخ ابن خلدون ١/٢٢٦ فصل في الحروب ومذاهب الأمم في ترتيبها.



وردت أسباب الحرب في ست وثلاثين آية تقع في ثمانية أسفار من أسفار العهد القديم هي: (التكوين ـ العدد ـ التثنية ـ يوشع ـ القضاة ـ صموئيل الأول ـ الملوك الثاني ـ حزقيال).

(١) **ففي سفر العدد، الإصحاح الثالث عشر**: ورد ما يفيد أن موسى عليه السلام بعد خروجه بقومه من مصر بعث رسلاً يتحسسون أمر أرض كنعان ـ فلسطين ـ ليستقروا فيها: «فساروا حتى أتوا موسى وهارون وكل جماعة بني إسرائيل إلى برية فاران إلى قادش، وردوا إليهما خبرًا وإلى كل الجماعة، وأروهم ثمر الأرض، وأخبروه، وقالوا: قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها وحقًا إنها تفيض لبنًا وعسلاً وهذا ثمرها، غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جدًا، وأيضًا قد رأينا بني عناق هناك»[1].

(٢) **وجاء في سفر صموئيل الأول، الإصحاح الخامس والعشرين**: «فأجاب نابال عبيد داود وقال: من هو داود؟ ومن هو ابن يسى؟ قد كثر اليوم العبيد الذين يقحصون كل واحد من أمام سيده، آآخذ خبزي ومائي وذبيحي الذي ذبحت لجاري وأعطيه لقوم لا أعلم من أين هم؟ فتحول غلمان

(١) سفر العدد ـ الإصحاح الثالث عشر ـ الآيات: ٢٦-٢٩.



داود إلى طريقهم ورجعوا وجاؤوا وأخبروه حسب كل هذا الكلام، فقال داود لرجاله: ليتقلد كل واحد منكم سيفه وتقلد داود سيفه وصعد وراء داود نحو أربعمائة رجل ومكث مائتان مع الأمتعة»[1].

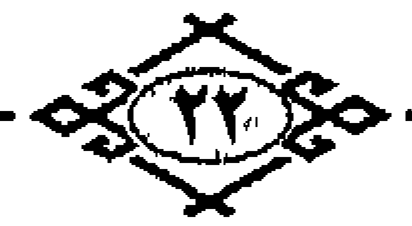
(٣) وفي سفر الملوك الثاني، الإصحاح الثالث:

«وكان ميشع ملك موآب الثاني صاحب مواش، فأدى لملك إسرائيل مئة ألف خروف ومئة ألف كبش بصوفها وعند موت آخاب عصى ملك موآب على ملك إسرائيل وخرج الملك يهورام في ذلك اليوم من السامرة وعد كل إسرائيل وذهب وأرسل إلى يهوشافاط ملك يهوذا يقول: قد عصى على ملك موآب، فهل تذهب معي إلى موآب للحرب؟»[2].

(٤) جاء في سفر حزقيال، الإصحاح الواحد والعشرين:

«وكان إلى كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم اجعل وجهك نحو أورشليم وتكلم عن المقادس، وتنبأ على أرض إسرائيل، وقل لأرض إسرائيل: هكذا قال الرب هأنذا عليك، وأستل سيفي من غمده فأقطع منه الصديق والشرير من حيث إني أقطع منك الصديق والشرير؛ فلذلك يخرج سيفي من غمده على كل بشر من الجنوب إلى الشمال، فيعلم كل بشر أني أنا الرب سللت سيفي من غمده لا يرجع أيضًا»[3].

(١) سفر صموئيل الأول ـ الإصحاح الخامس والعشرون آية ١٠-١٤.
(٢) سفر الملوك الثاني ـ الإصحاح الثالث، الآيات ٤:٨.
(٣) سفر حزقيال ـ إصحاح ٢١ آيات ١-٥.



(٥) وجاء في سفر يوشع، الإصحاح الثالث والعشرين:

«وأنتم قد رأيتم كل ما عمل الرب إلهكم هو المحارب عنكم انظروا: قد قسمت لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقين ملكًا حسب أسباطكم من الأردن وجميع الشعوب التي قرضتها والبحر العظيم نحو غروب الشمس، والرب إلهكم هو ينفيهم من أمامكم ويطردهم من قدامكم فتملكون أرضهم كما كلمكم الرب إلهكم»[1].

(٦) وجاء في سفر القضاة، الإصحاح الأول:

«وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوا بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار وبعد ذلك نزل بنو يهوذا لمحاربة الكنعانيين سكان الجبل وسكان الجنوب والسهل»[2].

(٧) وفي سفر القضاة، الإصحاح الثامن عشر:

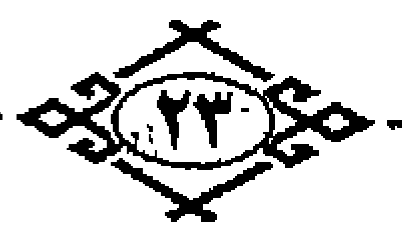
«فأما هم فقد أخذوا ما صنع ميخا والكاهن الذى له، وجاؤوا إلى لايش إلى شعب مستريح مطمئن، فضربوهم بحد السيف، وأحرقوا المدينة بالنار، ولم يكن من ينقذ؛ لأنها بعيدة عن صيدون، ولم يكن لهم أمر مع إنسان وهي في الوادي الذي لبيت رحوب، فبنوا المدينة وسكنوا بها ودعوا اسم المدينة دان باسم دان أبيهم الذي ولد لإسرائيل ولكن اسم المدينة أولاً: لايش»[3].

---

(١) سفر يوشع ـ الإصحاح الثالث والعشرون ـ الآيات: ٣-٥.

(٢) سفر القضاة ـ الإصحاح الأول.

(٣) سفر القضاة ـ الإصحاح الثامن عشر ـ الآيات: ٢٧-٣٠.



(٨) وفي صموئيل الأول، الإصحاح الرابع:

«وخرج إسرائيل للقاء الفلسطينيين للحرب، ونزلوا عند حجر المعونة، وأما الفلسطينيون فنزلوا في أفيق، واصطف الفلسطينيون للقاء إسرائيل واشتبكت الحرب فانكسر إسرائيل أمام الفلسطينيين وضربوا من الصف في الحقل نحو أربعة آلاف رجل»[١].

(٩) وفي التكوين، الإصحاح الرابع والثلاثين:

«فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دينة أخذ كل واحد منهما سيفه وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف؛ لأنهم بخسوا أختهم. غنمهم وبقرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما في البيوت»[٢].

(١٠) وفي سفر التكوين، الإصحاح الرابع عشر:

«فلما سمع إبرام أن أخاه سُبِي؛ جر غلمانه المتمرنين ولدان بيته ثلاث مائة وثمانية عشر وتبعهم إلى دان وانقسم عليهم ليلاً هو وعبيده فكسرهم وتبعهم إلى حوبة التي عن شمال دمشق، واسترجع كل الأملاك واسترجع لوطًا أخاه أيضًا وأملاكه والنساء أيضًا والشعب»[٣].

---

(١) سفر صموئيل الأول ـ الإصحاح الرابع، الآيات: ١-٤.
(٢) سفر التكوين ـ الإصحاح الرابع والثلاثون ـ الآيات: ٢٥-٢٩.
(٣) سفر التكوين ـ الإصحاح الرابع عشر ـ الآيات: ١٤-١٦.

(١١) وفي سفر العدد، الإصحاح الواحد والعشرين:

«فقال الرب لموسى: لا تخف منه؛ لأني قد دفعته إلى يدك مع جميع قومه وأرضه فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الأموريين الساكن في حبشون فضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يبق لهم شارد وملكوا أرضه»[١].

(١٢) وفي سفر العدد، الإصحاح الخامس والعشرين:

«ثم كلم الرب موسى قائلاً: ضايقوا المديانيين واضربوهم؛ لأنهم ضايقوكم بمكايدهم التي كادوكم بها»[٢].

(١٣) وفي سفر العدد، الإصحاح الثالث والثلاثين:

تطالعنا التوراة، أن الله قد أمر موسى عليه السلام أن يشن حربًا على أقوام قد عبدوا غير اللّٰه سبحانه وتعالى: «وكلم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلاً: كلم بني إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم، وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخرجون جميع مرتفعاتهم»[٣].

(١٤) وشبيه به ما ورد في سفر صموئيل، الإصحاح السابع عشر، آية ٤٥: ٤٧

«فقال داود للفلسطيني: أنت تأتي إليَّ بسيف وبرمح

(١) سفر العدد ـ الإصحاح الحادي والعشرون ـ الآيات: ٣٤-٣٥.
(٢) سفر العدد ـ الإصحاح الخامس والعشرون ـ الآية: ١٦.
(٣) سفر العدد ـ الإصحاح الثالث والثلاثون ـ الآيات: ٥٠-٥٣.

وبترس، وأنا آتي إليك باسم رب الجنود إله صفوف إسرائيل الذين عيرتهم... فتعلم كل الأرض أنه يوجد إله لإسرائيل»[1].

(١٥) **وفي سفر صموئيل الأول، الإصحاح الثالث والعشرين:**

«فذهب داود ورجاله إلى قعيلة وحارب الفلسطينيين وساق مواشيهم وضربهم ضربة عظيمة وخلص داود سكان قعيلة»[2].

(١٦) **في سفر المزامير، المزمور الثامن عشر:**

يسبح داود الرب ويمجده؛ لأنه يعطيه القوة على محاربة أعدائه: «الذي يعلم يدي القتال فتحني بذراعي قوسًا من نحاس... أتبع أعدائي فأدركهم، ولا أرجع حتى أفنيهم، أسحقهم فلا يستطيعون القيام، يسقطون تحت رجلي، تمنطقني بقوة للقتال، تصرع تحتي القائمين عليّ، وتعطينى أقفية أعدائي ومُبغضيّ أفنيهم»[3].

هذه بعض من حروب بني إسرائيل التي سجلتها نصوص كتبهم وأسفارهم، فمفهوم الحرب والقتال، ليس مفهومًا كريهًا من وجهة النظر التوراتية، وكأنها حروب مستمدة من الشريعة الدينية التوراتية، وهي كانت دائمًا تتم بمباركة الرب ومعونته، وكأن الرب ـ حسب تعبير التوراة ـ قد استل سيفه من غمده فلا يرجع[4].

(١) سفر صموئيل ـ الإصحاح السابع عشر ـ الآيات: ٤٥-٤٧.
(٢) سفر صموئيل الأول ـ الإصحاح الثالث والعشرون ـ الآية: ٦.
(٣) سفر المزامير ـ المزمور الثامن عشر ـ الآيات: ٣٥-٤١.
(٤) سفر حزقيال ـ الإصحاح الحادي والعشرون ـ آية: ٥.



الحرب في العهد الجديد

كذلك نرى الإنجيل لم يهمل الكلام عن الحروب بالكلية، بل جاء نص واضح صريح، لا يحتمل التأويل ولا التحريف يقرر أن المسيحية على الرغم من وداعتها وسماحتها التي تمثلت في النص الشهير «من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر» ـ إلا أنها تشير إلى أن السيد المسيح ـ عليه السلام ـ قد يحمل السيف ويخوض غمار القتال إذا دعته الظروف لذلك؛ فجاء في الإنجيل على لسان السيد المسيح:

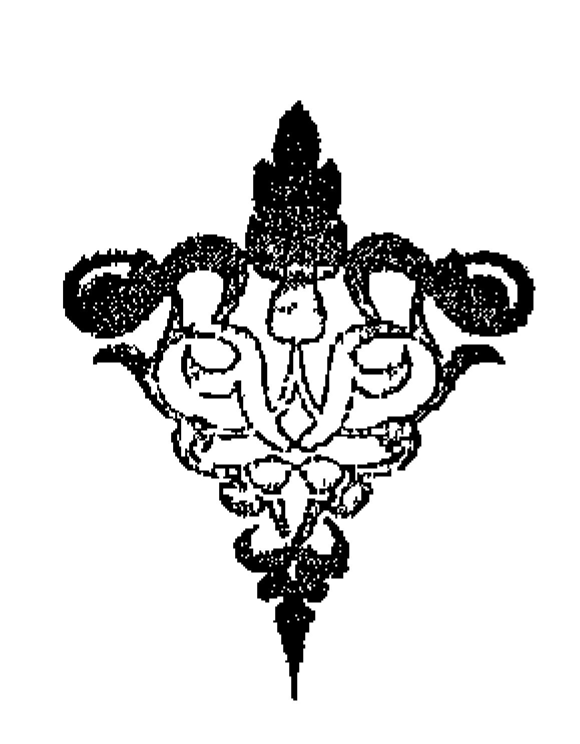
«لا تظنوا أني جئت لأرسي سلامًا على الأرض، ما جئت لأرسي سلامًا، بل سيفًا، فإني جئت لأجعل الإنسان على خلاف مع أبيه، والبنت مع أمها والكنّة مع حماتها، وهكذا يصير أعداء الإنسان أهل بيته»[1].

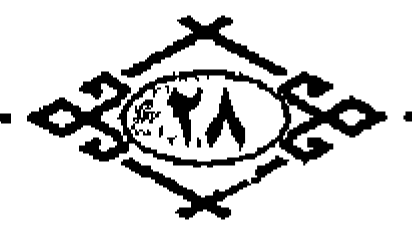
ولعلنا نلاحظ التشابه الكبير بين هذه المقولة وحديث الرسول ﷺ: **«بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد اللّه وحده»**[2].

مما سبق يتبين لنا واضحًا وجليًا أن الحرب والقتال سنة كونية سرت في الأمم جميعًا، ولم نرَ في تاريخ الأمم أمة خلت من حروب وقتال، ورأينا من استعراضِ الكتب المقدسة ـ التوراة والإنجيل ـ أنه سنة شرعية لم تَخْلُ شريعة من الشرائع السماوية السابقة على الإسلام من تقريره والقيام به كما مر.

(١) إنجيل متى ـ الإصحاح العاشر ـ آية: ٣٤-٣٦.
(٢) رواه أحمد وأبو داود.

لقد كان هذا القدر كافيًا في إثبات أن محمدًا ﷺ سائر على سنن من سبقه من الأنبياء، وأن الجهاد لتقرير الحق والعدل مما يمدح به الإسلام لا مما به يُشان، وأن ما هو جواب لهم في تبرير هذه الحروب وسفك الدماء كان جوابًا لنا في مشروعية ما قام به النبي ﷺ من القتال والجهاد، ولنشرع الآن في تتميم بقية جوانب البحث مما يزيل الشبهة ويقيم الحجة ويقطع الطريق على المشككين، فنتكلم عن غزوات النبي ﷺ، ممهدين لذلك بالحالة التي كانت عليها الجزيرة العربية من حروب وقتال وسفك للدماء لأتفه الأسباب وأقلها شأنًا، حتى يبدو للناظر أن القتال كان غريزة متأصلة في نفوس هؤلاء لا تحتاج إلى قوة إقناع أو استنفار.





الحرب عند العرب قبل الإسلام

سجلت كتب التاريخ والأدب العربي ما اشتهر وعرف بأيام العرب، وهي عبارة عن مجموعة من الملاحم القتالية التي نشبت بين العرب قبل مبعث النبي ﷺ.

وليس يعنينا سرد هذه الملاحم وتفاصيلها، ولكن الذي يعنينا هنا أن نقف على بعض الجوانب التي تصلح للمقارنة (الأسباب ـ الزمن المستغرق ـ الآثار التي خلفتها هذه الحروب).

قال العلامة محمد أمين البغدادي: «اعلم أن الحروب الواقعة بين العرب في الجاهلية أكثر من أن تحصر، ومنه عدة وقائع مشهورة لا يتسع هذا الموضع لذكرها ولنذكر بعضًا منها على سبيل الإجمال»[1].

وقد ذكرت كتب التواريخ أيامًا كثيرة للعرب (البسوس ـ داحس والغبراء ـ يوم النسار ـ يوم الجفار ـ يوم الفجار ـ يوم ذي قار ـ يوم شعب جبلة ـ يوم رحرحان... إلخ) والمتأمل في هذه الملاحم والأيام يرى أن الحماسة الشديدة والعصبية العمياء وعدم الاكتراث بعواقب الأمور والشجاعة المتهورة التي لا تتسم بالعقل، كانت هي الوقود المحرك لهذه الحروب، هذا فضلاً عن تفاهة الأسباب التي قامت من أجلها هذه

---

(١) سبائك الذهب السيد محمد أمين البغدادي ٤٤٣.



المجازر، والمدة الزمانية الطويلة التي استمرت في بعضها عشرات السنين، والآثار الرهيبة التي خلفتها هذه الحروب.

وعلى الرغم من أننا لم نقف على إحصاء دقيق لما خلفته هذه الحروب إلا أن الكلمات التي قيلت في وصف آثارها من الفناء والخراب وتيتم الأطفال وترمل النساء... إلخ؛ لتوقفنا على مدى ما أحدثته الحرب في نفوس الناس من اليأس والشؤم.

ويصف لنا الشاعر زهير بن أبي سلمى طرفًا من ذلك في معلقته المشهورة وهو يخاطب الساعين للسلام بين عبس وذبيان:

تداركتما عبسًا وذبيان بعدما ... تفانوا ودَقُّوا بينهم عِطر منشم

فهو يقول للساعين للسلام: إنكما بتحملكما ديات الحرب من مالكما، أنقذتما عبسًا وذبيان بعدما يئسوا، ودقوا بينهما عطر منشم.

ومنشم هو اسم لامرأة كانت تبيع العطر، يُضرب بها المثل في التشاؤم، دليل على عظم اليأس الذى أصاب نفوس الناس من انتهاء هذه الحرب[1].

هذه إطلالة سريعة ومختصرة على الحروب وأسبابها لدى العرب قبل الإسلام، والآن نشرع في الكلام على تشريع الجهاد في الإسلام ثم نتبع ذلك بتحليل موثق لغزوات النبي ﷺ.

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني ص٨٣، ط. مصطفى الحلبي.



الجهاد في شرعة الإسلام

لما استقر النبي ﷺ بالمدينة وأسس حكومته النبوية بها ـ بعد ثلاثة عشر عامًا من الدعوة إلى اللّه، وتحمل الأذى والعذاب في سبيل ذلك تخللتها ثلاث هجرات جماعية كبيرة ـ هاجت ثائرة قريش، وحقدوا على رسول اللّه ﷺ؛ لمَا أحرزه من استقرار ونجاح لهذه الدولة الوليدة ـ دون ظلم أَو استبداد أو سفك للدماء ـ؛ ولذلك فقد كان ﷺ مقصودًا بالقتل؛ إذ ليس معقولاً أن تنام أعينهم عن هذا التقدم والنمو، ومصالحهم قائمة على الزعامة الدينية في جزيرة العرب، وهذه الدولة الجديدة قائمة على أساس ديني، ربما يكون سببًا في زوال هذه الزعامة الدينية الوثنية الموروثة.

وإذا كان الإسلام دينًا بلغت الميول السلمية فيه مداها في قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ ﴾[1] إلا أن الميول السلمية لا تتسع لمنع القائمين بهذا الدين الجديد من الدفاع عن أنفسهم وعن دينهم الذي أنزله اللّه للإنسانية كافة، في عالم يضيع فيه الحق والعدل إن لم يكن لهما قوة تحميهما، فكان لا مناص من السماح للمسلمين بحماية أنفسهم ودينهم بالسلاح الذي يشهره خصومهم في وجوههم، ولذلك كان التعبير بقوله

(١) الزخرف: ٨٩.



تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾[1].

أقول: كان التعبير بالإذن الذي يدل على المنع قبل نزول الآية، ويدل على طروءٍ القتال في الإسلام، وأنه ظل ممنوعًا طيلة العهد المكي وبعضًا من العهد المدني.

«هذا ولم يغفل الإسلام حتى في هذا الموطن ـ موطن الدفاع عن النفس والدين ـ أن ينصح لأتباعه بعدم العدوان؛ لأن الموضوع حماية حق، لا موضوع انتقام ولا شفاء حزازات الصدور، وهذا من مميزات الحكومة النبوية، فإن القائم عليها نبيٌّ يكون كالجرّاح يضع مشرطه حيث يوجد الداء لاستئصاله، مع عدم المساس بالأعضاء السليمة، ومقصده استبقاء حياة المريض لا قتله، والعالم كله في نظر الحكومة النبوية شخص مريض تعمل لاستدامة وجوده سليمًا قويًّا.. إن طبيعة هذا العالم مبنية على التدافع والتغالب ليس فيما بين الناس فحسب، ولكن فيما بينهم وبين الوجود المحيط بهم، وبينٍ كل فرد والعوامل المتسلطة عليه من نفسه، ولا أظن أن قارئًا من قرائنا يجهل الناموس الذي اكتشفه دارون وروسل ولاس ودعواه: ناموس

(١) الحج: ٣٩-٤٠.



تنازع البقاء وبنوا عليه كل تطور أصاب الأنواع النباتية والحيوانية والإنسان أيضًا»[1].

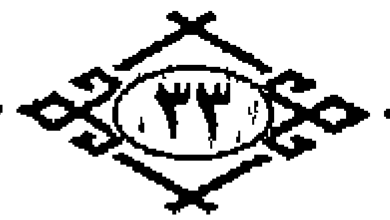
«ألم تر كيف تصدى خصوم الدين النصراني للمسيح، وما كان يدعو إلا للصلاح والسلام، حتى إنهم استصدروا أمرًا بصلبه فنجَّاه اللَّه منهم، وما زالوا بالذين اتبعوه يضطهدونهم ويقتلونهم، حتى مضت ثلاثة قرون وهم مشردون في الأرض لا تجمعهم جامعة، إلى أن حماهم من أعدائهم السيف على يد الإمبراطور قسطنطين الذى أعمل السيف في الوثنيين من أعدائهم.. أفيريد مثيرو هذه الشبهة أن يقوم دين على غير السنن الطبيعية في عالم مبني على سنن التدافع والتنازع واستخدام القوة الحيوانية لطمس معالم الحق ودك صروح العدل؟».

يقول المعترضون: «وماذا أعددتم من حُجة حين تُجمع الأمم على إبطال الحروب وحسم منازعتها عن طريق التحكيم، وهذا قرآنكم يدعوكم إلى الجهاد وحثكم على الاستبسال فيه؟».

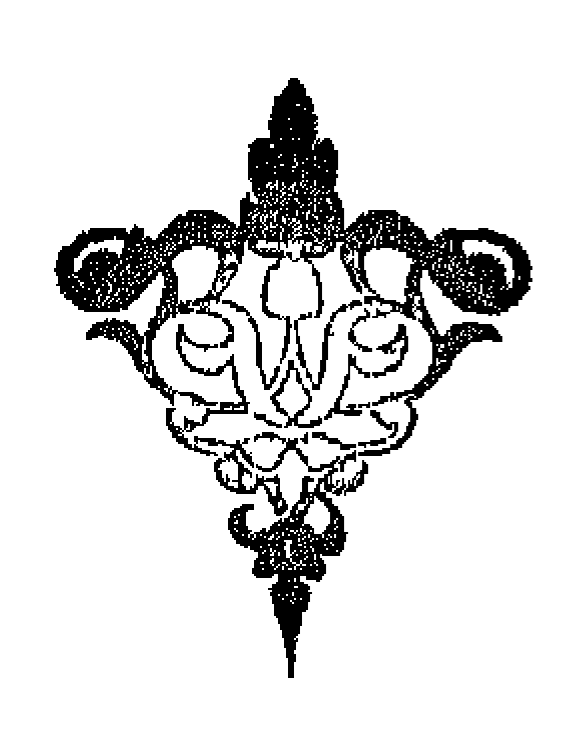
نقول: أعددنا لهذا العهد قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2].

«هذه حكمة بالغة من القرآن، بل هذه معجزة من معجزاته الخالدة، وهي أدل دليل على أنه لم يشرع الحرب لذاتها،

(١) السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة لمحمد فريد وجدى ص١٦٣، ١٦٤ بتصرف.
(٢) الأنفال: ٦١.



ولكن لأنها من عوامل الاجتماع التي لابد منها، مادام الإنسان في عقليته ونفسيته المأثورتين عنه، غير أنه لم ينف أن يحدث تطور عالمى يتفق فيه على إبطال الحرب، فصرح بهذا الحكم قبل حدوثه؛ ليكون حُجة لأهله من ناحية، وليدل على أنه لا يريد الحرب لذاتها من ناحية أخرى، ولو كان يريدها لذاتها؛ لما نوَّه لهذا الحكم))[1].



(١) السيرة النبوية لمحمد فريد وجدى ١٦٥، ١٦٦.



نظرة تحليلية لغزوات النبي ﷺ

إذا تتبعنا هذه الغزوات وقسمناها حسب الطوائف التي ضمتها، أمكننا التعرف على القبائل التي حدثت معها هذه المعارك وهي كالآتي:

(١) قريـــش مكـــة:

وهي القبيلة التي ينتمي إليها النبي ﷺ، حيث إن قريشًا هي فهر بن مالك، وقيل: النضر بن كنانة، وعلى كلا القولين فقريش جد للنبي ﷺ، وكانت معهم الغزوات: سيف البحر ـ الرابغ ـ ضرار ـ بواط ـ سفوان ـ ذو العشيرة ـ السويق ـ ذو قردة ـ أُحد ـ حمراء الأسد ـ بدر الآخرة ـ الأحزاب ـ سرية العيص ـ سرية عمرو بن أمية ـ الحديبية ـ سيف البحر الثانية ٨ هـ ـ فتح مكة.

(٢) قبيلة بني غطفان وأنمار:

غطفان من مضر، قال السويدي: «بنو غطفان بطن من قيس بن عيلان بن مضر، قال في العبر: وهم بطن متسع، كثير الشعوب والبطون»[١]، قال ابن حجر في فتح البارى: «تميم وأسد وغطفان وهوازن جميعهم من مضر بالاتفاق»[٢]، أما أنمار فهم يشتركون في نفس النسب مع

(١) سبائك الذهب ص١٢٠ ط دار الكتب العلمية، موسوعة القبائل العربية لمحمد سليمان الطيب ١٥/١ دار الفكر العربى. (٢) فتح البارى ٥٤٣/٦ دار المعرفة ـ بيروت.



غطفان، قال ابن حجر: «وسيأتي بعد ذلك أن أنمار في قبائل منهم بطن من غطفان»[1]، أي إن أنمار ينتسبون إلى مضر أيضًا ونسبهم كالتالي: أنمار بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر[2].

والغزوات التي ضمتها هي: قرقرة الكدر ـ ذي أمر ـ دومة الجندل ـ بني المصطلق ـ الغابة ـ وادي القرى ـ سرية كرز بن جابر ـ ذات الرقاع ـ تربة ـ الميفعة ـ الخربة ـ سرية أبي قتادة ـ عبد اللَّه بن حذافة[3].

(٣) بنـو سُليـم:

قال السويدي: «بضم السين المهملة، قبيلة عظيمة من قيس عيلان والنسبة إليهم سُلَمى، وسليم من أولاد خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر[4]، والغزوات التي خاضها ﷺ مع بني سُليم هي: بئر معونة ـ جموم ـ سرية أبي العوجاء ـ غزوة بني ملوح وبني سليم[5].

(٤) بنـو ثعلبـة:

ثعلبة هو ابن سعد بن ضبة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر[6]، نسبه الدكتور على الجندى إلى مرّ بن أدّ هكذا: ثعلبة بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر[7]،

---

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر ٧/٤٢٤.

(٢) تاريخ الأدب الجاهلى د. علي الجندي ٤٧٢.

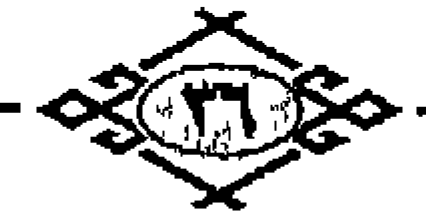
(٣) رحمة للعالمين للمنصور فوري ص٤٦٢.

(٤) في تاريخ الأدب الجاهلى ٤٧٣.

(٥) رحمة للعالمين للمنصور فوري ص٤٦٢.

(٦) سبائك الذهب ص٨.

(٧) تاريخ الأدب الجاهلي ص٤٧٠.



والغزوات التي غزاها ﷺ معهم هي: غزوة ذي القصة ـ غزوة بني ثعلبة ـ غزوة طرف ـ سرية الحسمى[1].

(٥) بنو فزارة وعذرة:

قال في سبائك الذهب: «بنو فزارة بطن من ذبيان من غطفان» قال في العبر: وكانت منازل فزارة بنجد ووادي القرى، ونسب فزارة: فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر.

أما بنو عذرة: بنوه بطن من قضاعة، ونسبهم هكذا: عذرة ابن سعد بن جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة[2]. ونسبهم إلى قضاعة أيضًا الدكتور علي الجندي معتمدًا على أنساب ابن حزم هكذا: عذرة بن سعد ابن أسلم بن عمران بن الحافي بن قضاعة[3]، وعلى هذا فبنو عذرة ليسوا من مضر، وإنما كانوا موالين لبني فزارة وهم من مضر، وكان معهما الغزوات والسرايا الآتية:

سرية أبي بكر الصديق ـ سرية فَدك ـ سرية بشير بن سعد ـ غزوة ذات أطلح[4].

(٦) بنو كلاب وبنو مرة:

أما بنو كلاب فهم: بنو كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وبنو مرة هم أبناء كعب بن لؤي،

---

(١) رحمة للعالمين المنصور فورى ص ٤٦٢. (٢) سبائك الذهب ٨٧.
(٣) تاريخ الأدب الجاهلى ص ٤٦٦. (٤) رحمة للعالمين للمنصور فورى ص ٤٦٣.



فيكون كلاب بطن من مرة، وهذه نفس سلسلة النسب التي ذكرها الدكتور علي الجندي معتمدًا على أنساب ابن حزم[1]، والغزوات التي كانت معهم: غزوة قريظة ـ غزوة بني كلاب ـ غزوة بني مرة ـ سرية ضحاك[2].

(٧) عضـــل والقـــارة:

قال في سبائك الذهب: «عضل بطن من بني الهون من مضر»، ونسبهم هكذا: عضل بن الهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وأما القارة فلم يذكرها السويدي في السبائك ولا الدكتور الجندي، إلا أن الأستاذ الشيخ محمد الخضري نسبها إلى خزيمة بن مدركة، وذكر الفارة بالفاء الموحدة لا بالقاف المثناة[3] وقد غزاهم النبي ﷺ غزوة واحدة هي غزوة الرجيع[4].

(٨) بنـــو أســـد:

قال السويدي: «بنو أسد حي من بني خزيمة، ونسبهم هكذا: أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر[5]، والغزوات التي غزاهم فيها رسول الله ﷺ هي: سرية قطن ـ سرية غمر مرزوق[6] ـ غزوة ذات السلاسل[7].

(١) سبائك الذهب ٢٩٥، تاريخ الأدب الجاهلي ص ٤٦٧.
(٢) رحمة للعالمين ص ٤٦٣. (٣) تاريخ الدولة الأموية للشيخ محمد الخضري ص ١٥٦.
(٤) رحمة للعالمين ص ٤٦٣. (٥) سبائك الذهب ص ٢٥٦، تاريخ الأدب الجاهلي ص ٤٦٧.
(٦) غَمْر مرزوق بالغين المعجمة؛ ماء لبني أسد على بعد ليلتين من قيد، وقيد طريق مؤد للمدينة (الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٨٤، دار صادر بيروت، وانظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٤/٢١٢ دار الفكر بيروت، زاد المعاد لابن القيم ٤/٢٤٥ دار الفكر).
(٧) رحمة للعالمين ص ٤٦٣.

(٩) بنـــو ذكـــوان:

قال السويدي: «بنو ذكوان بطنٍ من بهتة من سليم، وهم من الذين مكث النبي ﷺ شهرا يقنت في الصلاة يدعو عليهم وعلى رعل[١] ونسبهم هكذا: ذكوان بن بهتة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ـ الناس ـ بن مضر[٢]، ولم يغزهم رسول الله ﷺ إلا غزوة واحدة هي غزوة بئر معونة.

(١٠) بنـــو لحيـان:

من المعروف أن بني لحيان من هذيل، وهذيل هو: ابن مدركة بن إلياس بن مضر[٣]، وغزاهم النبي ﷺ غزوة واحدة هي: غزوة بني لحيان[٤].

(١١) بنو سعد بن بكر:

نسبهم: سعد بن بكر بن هوازن بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ـ الناس ـ بن مضر[٥]، وقد أرسل لهم النبي ﷺ سرية واحدة هي سرية فدك.

(١٢) بنـــو هـــوازن:

بنو هوازن بطن من قيس عيلان، ونسبهم هكذا: هوازن بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر[٦]، وقد غزاهم ﷺ غزوة ذات عرق.

---

(١) سبائك الذهب ص ١٢٧.
(٢) سبائك الذهب ص ١٢٦.
(٣) تاريخ الأدب الجاهلي ص ٤٦٧.
(٤) رحمة للعالمين ص ٤٦٣.
(٥) سبائك الذهب ص ١٤٨، تاريخ الأدب الجاهلي ص ٤٧٣.
(٦) سبائك الذهب ص ١٢٤، تاريخ الأدب الجاهلي ص ٤٧٣.

(١٣) بنو تميم:

بنو تميم بطن من طابخة، قال في العبر: «وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هناك على البصرة واليمن، ونسبهم هكذا: تميم بن مر بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر»[١].

(١٤) بنو ثقيف:

بنو ثقيف بطن من هوازن اشتهروا باسم أبيهم ثقيف، ونسبهم: ثقيف بن منبه بن بكر بن بهتة بن سليم بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ـ الناس ـ بن مضر[٢]، وقد غزاهم النبي ﷺ غزوتين هما: غزوة حنين ـ غزوة الطائف.

* * *

ونستطيع من خلال هذا التتبع أن نقول: إن هذه القبائل كانت جميعها تنتسب إلى مضر وهو جد النبي ﷺ أو من والاهم، وبالمعنى الأدق كانت نتيجة غضب إخوته من أجداده، أما اليهود فقد كانوا مع قريش حسب معاهدتهم معهم، وبذلك ظهر جليًا أن الغزوات والسرايا التي خاضها أو أرسلها النبي ﷺ، كانت موجهة في نطاق ضيق هو نسل مضر، فلا يمكن أن يقال حينئذ: إن النبي ﷺ قد أشعل نار الحرب ضد العرب جميعًا، أو إنه خاض الحروب لإكراه الناس

(١) سبائك الذهب ص ٨٥، ٨٦، تاريخ الأدب الجاهلي ص ٤٧٠.
(٢) سبائك الذهب رقم ١٤٧، ١٤٨، تاريخ الأدب الجاهلي ص ٤٧٣.

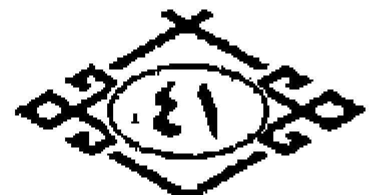
على اعتناق الإسلام، ولو كان الأمر كما يقولون لوقعت حرب عدوانية أو دفاعية ضد أي قبيلة من مئات القبائل العربية، وهذه الحقيقة تحتاج إلى مزيد من التعمق والتحليل في بعض خصائص القبائل العربية؛ إذ قد يقول قائل أو يعترض معترض: إن هذا الذى توصلنا إليه بالبحث ـ ألا وهو انحصار القتال مع المضريين ـ لم يحدث إلا اتفاقًا، والأمور الاتفاقية لا تدل على شيء، ولا يُستخرج منها قانون كليٌّ نحكم به على جهاد النبي ﷺ؛ إذ كان من الممكن أن يقاتل النبي ﷺ ربيعة بدلاً من مضر، أو يقاتل ربيعة ومضر معًا، أو يقاتل القحطانية بدلاً من العدنانية أو يقاتلهما معًا، وهكذا.

ذلك أن المتوقع أن تزيد الألفة والمودة بين أفراد وقبائل الجدِّ الواحد لا أن تشتعل نار الحرب والقتال بينهم، فما الذى عكس هذا التوقع وقلب الأمر رأسًا على عقب؟!

وللإجابة عن هذه الشبهة نقول:

كان من أشهر الأمثلة العربية المثل المشهور «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**» وقد كان العرب يطبقون هذا المثل تطبيقًا حرفيًا ـ دون هذا التعديل الذى أضافه الإسلام عليه ـ فكانوا ينصرون إخوانهم وبني أعمامهم نصرًا حقيقيًا على كل حال في صوابهم وخطئهم وعدلهم وظلمهم. وشعارهم فى ذلك قول شاعرهم:

لا يسألون أخاهم حين ندبهم
في النائبات على ما قال برهانا



وإذا دخلت قبيلتان منهم في حلف؛ كان لكل فرد من أفراد القبيلتين النصرة على أفراد القبيلة الأخرى، وهذا الحلف قد يعقده الأفراد وقد يعقده رؤساء القبائل والأمر واحد في الحالين.

بينما هم كذلك في بني أبيهم وفي حلفائهم، إذ بك تراهم حينما تتشعب البطون قد نافس بعضهم بعضًا في الشرف والثروة، فنجد القبائل التي يجمعها أب واحد، كل واحدة قد وقفت لأختها بالمرصاد، تنتهز الفرصة للغض منها والاستيلاء على موارد رزقها، وترى العداء قد بلغ منها الدرجة التي لا تطاق، كما كان بين بطني الأوس والخزرج، وبين عبس وذبيان، وبين بكر وتغلب ابني وائل، وبين عبد شمس وهاشم،... إلخ، فكانت روح الاجتماع سائدة بين القبيلة الواحدة، تزيدها العصبية حياة ونموًا، وكانت مفقودة تمامًا بين القبائل المختلفة؛ فكانت قواهم متفانية في قتالهم وحروبهم ونزاعاتهم.

وقد علل الشيخ محمد الخضري هذه الحقيقة العجيبة بأمرين:

■■ **الأمر الأول:**

التنافس في مادة الحياة بين بني الأب الواحد؛ إذ إن حياتهم كانت قائمة على المراعي التي يسيمون فيها أنعامهم، والمناهل التي منها يشربون.

■■ **الأمر الثاني:**

تنازع الشرف والرياسة، وأكثر ما يكون ذلك إذا مات أكبر



الإخوة وله ولد صالح، ويريد أن يكون موضع أبيه، فينازع أعمامه رياسة العشيرة، ولا يسلم أحد منهما للآخر، وقد يفارق رئيس أحد البيتين الديار مضمراً في نفسه ما فيها من العداوة والبغضاء، وقد يبقيا متجاورين، وفي هذه الحالة يكون التنافر أشد، كما كان الحال بين الأوس والخزرج من المدينة، وبين هاشم وأمية من مكة، وبين عبس وذبيان من قيس، وبين بكر وتغلب من ربيعة. ومتى وجد النفور بين جماعتين أو بين شخصين لا يحتاج شبوب نار الحرب بينهما إلى أسباب قوية، بل إن أيسر النزاع كافٍ لنشوب نار الحرب، وتيتم الأطفال وتأيم النساء؛ لذلك كانت الجزيرة العربية دائمة الحروب والمنازعات[1].

هذه الحقيقة التي توصلنا إليها ـ وهي أن نار الحرب سريعة النشوب بين أبناء الأب أو الجد الواحد ـ تدعم ما توصلنا إليه من أن الحرب إنما كانت نتيجة غضب إخوته من أجداده، وإذا كان الخلاف محصوراً في السببين السابقين، فأي سبب هو الذي أجج نار الغيرة والحقد على رسول الله ﷺ؟ هل السبب هو التنافس في مادة الحياة الدنيا، أم الخوف من انتزاع الشرف والسيادة التي تؤول إلى النبي ﷺ إذا هم أذعنوا له بالرسالة والنبوة؟

أما عن السبب الأول فليس وارداً على الإطلاق، فلقد ضرب كفار مكة حصاراً تجويعياً على رسول الله ﷺ وعلى بني هاشم وبني عبدالمطلب، فانحازوا إلى شعب أبي طالب ثلاث سنوات كاملة، عاشوا فيها الجوع والحرمان ما لا يخطر ببال، حتى إنهم

(١) تاريخ الدولة الأموية الشيخ محمد الخضري ص ٣٢، ٣٣، ط دار القلم، بيروت.



من شدة الجوع قد أكلوا ورق الشجر، وكان يسمع من بعيد بكاء أطفالهم وأنين شيوخهم، ومع ذلك فقد التزم النبي ﷺ الصبر والثبات، ولم يأمر أصحابه أن يشنوا حربًا أو قتالاً لفك هذا الحصار، والخبير يعلم ما الذي يمكن أن يفعله الجوع بالنفس البشرية، إن لم يصحبها نور من وحي أو ثبات من إيمان.

كان السبب الثاني إذن كفيلاً بإشعال هذه النار في قلوب هؤلاء وعلى حد تعبير الأستاذ العلامة محمد فريد وجدي: «كان مقصودًا بالقتل من قريش، وليس يعقل أن تغمض قريش عينها، ومصلحتها الحيوية قائمة على زعامة الدين في البلاد العربية، وعن قيام زعامة أخرى في البلاد كيثرب تصبح منافسًا لأم القرى، وربما بزها سلطانًا على العقول، وكرَّ على قريش فأباد خضراءها وسلبها حقها الموروث»[1]، والذي يؤيد هذا ويقويه ذلك الحوار الذي دار بين الأخنس بن شريق وبين أبي جهل؛ إذ قال له الأخنس: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ ـ يعني القرآن ـ فقال ما سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذا؟! والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه.

ليست المصادفة إذن ولا محض الاتفاق هما اللذين دفعا النبي ﷺ لقتال أبناء أجداده من مضر دون ربيعة أو غيرها من

---

(١) السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة، الأستاذ محمد فريد وجدي ص ١٦٢، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

العرب، بل الطبيعة العربية المتوثبة دائمًا، لمن ينازعها الشرف والسيادة من أبناء الأب الواحد ـ على ما بيناه آنفًا ـ كانت هي السبب الرئيسي لاشتعال هذه الحروب ولولاها لما اضطر ﷺ للقتال بعد ثلاثة عشر عامًا من الدعوة والصبر، تخللها من المشاق والعنت ما اللَّه به عليم، ومع ذلك فقد كان هِجِّيراه ـ بأبي هو وأمي ـ «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون».

ثم إن هذه الغزوات مع تلك القبائل كانت لها آثار ونتائج يجب أن نقف عندها، وأن نستفيد من تحليل معطياتها، فمجموع ما بلغنا من السرايا والتجريدات بيانه كما يلي:

(١) سرية سِيف البحر:

كانت في رمضان سنة ١ هـ، وكان عدد المسلمين ثلاثين راكبًا يقودهم حمزة بن عبد المطلب، وعدد المشركين ثلاثمائة يقودهم أبو جهل، وقد بعثت هذه السرية لدراسة أحوال مكة، وقد علم المشركون بانتباه المسلمين فانصرف الفريقان بدون قتال.

(٢) سرية الرابغ:

وقد كانت في شوال سنة ١ هـ، قوامها ستون محاربًا من المسلمين يقودهم عبيدة بن الحارث، وعدد المشركين مائتا رجل يقودهم عكرمة أو أبو سفيان، وقد بعثت هذه السرية لتفقد أحوال مكة، فرأت جمعًا عظيمًا من قريش بأسفل ثنية المرة، وقد انصرف الفريقان أيضًا بدون قتال.

(٣) سرية ضرار:

في ذي القعدة سنة ١ هـ، وقد كان قوامها ثمانين محاربًا يقودهم سعد بن أبي وقاص الذي خرج حتى بلغ الجحفة، ثم رجع ولم يلقَ كيدًا.

(٤) غزوة ودَّان:

وهي غزوة الأبواء وكانت في صفر سنة ٢ هـ، وكان عدد المسلمين سبعين رجلاً قائدهم سيدنا محمد ﷺ، وقد عاهد فيها عمرو بن مخشى الضمري النبي ﷺ على ألا يعين قريشًا ولا المسلمين.

(٥) غزوة بواط:

كانت في ربيع الأول سنة ٢ هـ، وبلغ عدد المسلمين فيها مائتى رجل يقودهم النبي ﷺ، وعدد المشركين مائة رجل يقودهم أمية بن خلف، وقد بلغ النبي ﷺ إلى بواط من ناحية جبل رضوى، وأثناء عودته إلى المدينة لقي في الطريق قريشًا وأمية، ولم تحدث مواجهة.

(٦) غزوة سفوان (بدر الأولى):

كانت في ربيع الأول سنة ٢هـ، وقوامها سبعون محاربًا، يقودهم النبي ﷺ، ولم يكن من المشركين سوى كرز بن جابر الفهري الذي أغار على مواش لأهل المدينة، وقد خرج النبي ﷺ في طلبه إلى سفوان فلم يدركه.

(٧) غزوة ذى العشيرة:

كانت في جمادى الآخرة سنة ٢هـ، وكان قوامها مائة وخمسين محاربًا من المسلمين يقودهم النبي ﷺ، وقد وادع النبي ﷺ مدلجًا وحلفاءهم من بني ضمرة.

(٨) سرية النخلة:

وكانت في رجب سنة ٢ هـ، قوامها من المسلمين اثنا عشر رجلاً يقودهم عبد اللّٰه بن جحش في مواجهة قافلة من المشركين تحت قيادة بني أمية، وقد أرسلت هذه السرية للاستطلاع، فحدث صدام مع القافلة نتج عنه من جهة العدو أسيران أطلق سراحهما، وقتيل دفعت ديته.

(٩) غزوة بدر الكبرى:

وكانت في رمضان سنة ٢هـ، وعدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر محاربًا، يقودهم النبي ﷺ، في مواجهة ألف محارب من المشركين يقودهم أبو جهل، فلما علم النبي ﷺ بخروج قريش إلى المدينة؛ ارتحل دفاعًا عن المسلمين، وانتهت المعركة بانتصار المسلمين واستشهد منهم اثنان وعشرون، وقتل من العدو سبعون وجرح مثلهم.

(١٠) سرية عمير بن العدي الخطمي:

وكانت في رمضان سنة ٢ هـ، بين عمير بن العدي من المسلمين، وعصماء بنت مروان من المشركين، التي قتلت؛ لأنها كانت تحضّ قومها على محاربة المسلمين.



(١١) سرية سالم بن عمير الأنصارى:

كانت في شوال سنة ٢ هـ بين سالم وأبي عكفة اليهودي الذي كان يستفز اليهود على مقاتلة المسلمين، فقتله سالم.

(١٢) غزوة بني قينقاع:

كانت في ذي الحجة سنة ٢هـ، وكان قائد المسلمين هو النبي ﷺ في مواجهة بني قينقاع من اليهود الذين أفسدوا في المدينة حين كان المسلمون في بدر، فأجلاهم النبي ﷺ لذلك.

(١٣) غزوة السويق:

كانت في ذي الحجة سنة ٢ هـ، وكان قوامها مائتى محارب، قائدهم النبي ﷺ، في مواجهة مائتين من المشركين يقودهم أبو سفيان، وكان أبو سفيان قد بعث رجالاً من قريش إلى المدينة فأتوا ناحية منها، فحرقوا أسوارًا من نخل، ووجدوا بها رجلين من المسلمين فقتلوهما، ولم يدركه النبي ﷺ.

(١٤) غزوة قرقرة الكدر أو بني سليم:

وكانت في المحرم سنة ٢ هـ، وكان قوامها مائتي محارب يقودهم النبي ﷺ، في مواجهة قبيلتي بني غطفان وبني سليمٍ. وقد خرج العدو لغزو المدينة، فانصرف حين رأى جمعًا من المسلمين، وقد أُسر من العدو عبد اسمه يسار أطلقه النبي ﷺ.



(١٥) سرية قرقرة الكدر:

وكانت في المحرم سنة ٢هـ، وقاد المسلمين غالب بن عبدالله الليثي، في مواجهة بني غطفان وبني سليم الذين اجتمعوا مرة أخرى بعد الغزوة، واستشهد من المسلمين ثلاثة، وقتل جمع من الأعداء وفرَّ الباقون.

(١٦) سرية محمد بن مسلمة:

وكانت في ربيع الأول سنة ٣هـ، حيث بلغ النبي ﷺ تأليب كعب بن الأشرف اليهودي قبائل اليهود وقريش ضد المسلمين، فأرسل إليه محمد بن مسلمة الأنصاري الخزرجي، فقتل كعبًا.

(١٧) غزوة ذي أمر أو غطفان أو أنمار:

وكانت في ربيع الأول سنة ٣هـ، وكان عدد المسلمين أربعمائة وخمسين محاربًا يقودهم النبي ﷺ، في مواجهة بني ثعلبة وبني محارب الذين اجتمعوا للإغارة على المدينة، فانصرفوا حين رأوا جمعًا من المسلمين، وكان النبي ﷺ قد خرج في أصحابه حتى بلغ نجدًا، فأسلم على يديه وعشود الذي همَّ قبل ذلك بقتل النبي ﷺ.

(١٨) سرية قردة:

وكانت في جمادى الآخرة سنة ٣هـ ، وكان قوامها مائة من المسلمين عليهم زيد بن حارثة رضي الله عنه، وقائد المشركين أبو سفيان، وقد خرج زيد في بعث فتلقى قريشًا

في طريقهم إلى العراق، وقد نتج عن المواجهة أسر فراة بن سفيان دليل القافلة التجارية فأسلم.

(١٩) غزوة أحد:

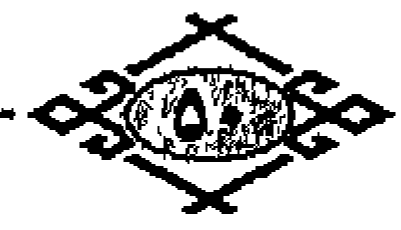
وكانت في شوال سنة ٣هـ، وكان قوام المسلمين ستمائة وخمسين راجلاً يقودهم النبي ﷺ، وقوام المشركين ألفان وثمانمائة راجل ومائتي راكب (مجموعهم ثلاثة آلاف) يقودهم أبو سفيان، وقد نتج عنها في جانب المسلمين أربعون جريحًا وسبعون شهيدًا، وفي جانب المشركين ثلاثون قتيلاً، ورغم الخسارة الفادحة التي لحقت بالمسلمين إلا أن المشركين لم يتمكنوا من إحراز النصر نتيجة الرعب الذي أصابهم.

(٢٠) غزوة حمراء الأسد:

وكانت في السابع من شوال سنة ٣هـ، بلغ عدد المسلمين فيها خمسمائة وأربعين يقودهم النبي ﷺ، في مواجهة ألفين وتسعمائة وسبعين (٢٩٧٠) يقودهم أبو سفيان، وقد خرج النبي ﷺ في اليوم التالي لغزوة أحد، لبثِّ الرعب في قلوب المشركين، وقد أُسر رجلان من العدو، وقُتل أبو عزة الشاعر؛ لأنه وعد النبي ﷺ في بدر ألا يظاهر على المسلمين ثم نقض عهده وألَّب المشركين على المسلمين.

(٢١) سرية قطن أو سرية أبي سلمة المخزومي:

وكانت في غرة المحرم سنة ٤هـ، وقوامها من المسلمين



مائة وخمسون رجلاً عليهم أبو سلمة المخزومي في مواجهة بني أسد يقودهم طليحة وسلمة ابنا خويلد، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن طليحة وسلمة ابني خويلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما يدعونهم إلى حرب رسول اللّه ﷺ فدعا رسول الله ﷺ أبا سلمة وعقد له لواءً، وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار، فخرج أبو سلمة وأخطأ الطريق وسبقت الأخبار إلى العدو، وانتهى أبو سلمة إلى أدنى قطن فأغار على سرح لهم فضمه مع ثلاثة من العبيد وأفلت سائرهم، فجاءوا إلى بني أسد فحذروهم فتفرقوا في كل ناحية، وفرّق أبو سلمة أصحابه ثلاث فرق في طلب النعم والشاء، فآبوا إليه سالمين قد أصابوا إبلاً وشاءً، ولم يلقوا أحدًا، فانحدر أبو سلمة بذلك كله إلى المدينة.

(٢٢) سرية عبد اللّه بن أنيس:

وكانت في الخامس من المحرم سنة ٤هـ، وكانت بين عبداللّه ابن أنيس الجهني الأنصاري من المسلمين، وسفيان الهذلي من المشركين، حيث سمع عبد الله بأن سفيان يستنفر المشركين ضد المسلمين بعرنة، فوصل إليها وقتل سفيان.

(٢٣) سرية الرجيع:

وكانت في صفر سنة ٤هـ، وكان قوام المسلمين عشرة رجال عليهم عاصم بن ثابت أو مرثد بن الغنوي، في مواجهة مائة رجل من قبيلتي عضل والقارة، حيث كانت

سلامة امرأة طلحة قد جعلت مائة ناقة لمن يقتل عاصمًا، فقدم رهط من قبيلتها إلى مكة على رسول اللّه ﷺ واستصحبوا عشرة من القراء فقتلوا منهم ثمانية، وباعوا اثنين بمكة فصلبهما أهل مكة، وبقي جثمانهما على الخشبة أربعين يومًا، وفي كتب السيرة أنهم كانوا ستة، وفي البخارى أنهم كانوا عشرة.

(٢٤) سرية بئر معونة أو سرية طرز:

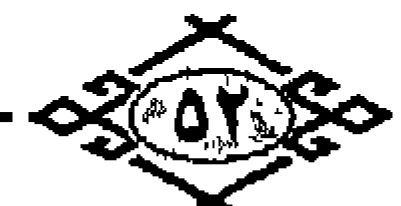
وكانت في صفر سنة ٤هـ، وكان قوام المسلمين سبعين رجلاً عليهم منذر بن عمرو في مواجهة جماعة كبيرة من العدو عليهم عامر بن مالك الذي طلب من النبي ﷺ أن يبعث إلى نجد رجالاً لأجل الدعوة، فبعث النبي ﷺ سبعين رجلاً من أصحابه، فلما وصلوا بئر معونة غشيتهم قبائل من بني سليم من رعل وذكوان وقتلوهم إلا عمرو بن أمية الضمري.

(٢٥) سرية عمرو بن أمية الضمري:

وكانت في ربيع الأول سنة ٤هـ، وكانت بين عمرو بن أمية واثنين من قبيلة بني كلاب، قتلهما عمرو بظن أنهما من قاتلي القراء في بئر معونة، فودى بهما رسول اللّه ﷺ؛ لأن بني كلاب كانوا في عهد مع الرسول ﷺ.

(٢٦) غزوة بني النضير:

وكانت في ربيع الأول سنة ٤هـ في عدد من المسلمين،



وكان على قيادتهم النبي ﷺ، لمواجهة بني النضير الذين أرادوا الغدر بالمسلمين في المدينة وهموا بقتل النبي ﷺ، فأجلاهم النبي ﷺ إلى خيبر.

(٢٧) غزوة بدر الأخرى:

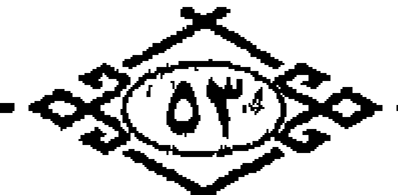
وكانت في ذى القعدة سنة ٤هـ - وبلغ عدد المسلمين فيها ألفًا وخمسمائة راجل وعشرة فرسان (١٥١٠) بقيادة النبي ﷺ، وبلغ عدد المشركين ألفى راجل وخمسين راكبًا (٢٠٥٠) بقيادة أبى سفيان الذى خرج في أهل مكة حتى نزل بناحية الظهران أو عسفان، ولما علم النبي ﷺ بقدومه خرج إليه فرجع أبو سفيان ورجع النبي ﷺ.

(٢٨) غزوة دومة الجندل:

وكانت في ربيع الأول سنة ٥هـ، قوامها ألف من المسلمين قائدهم النبي ﷺ في مواجهة أهل الدومة، حيث بلغ النبي ﷺ أن اجتماعًا حاشدًا قد عقد بدومة الجندل للإغارة على المدينة، فخرج إليها وتبين كذب الخبر فرجع وواد ع عيينة بن حصين في الطريق.

(٢٩) غزوة بني المصطلق أو المريسيع:

وكانت في الثاني من شعبان سنة ٥هـ، بقيادة النبي ﷺ في مواجهة بني المصطلق بقيادة سيدهم الحارث بن ضرار، وقد بلغ النبي ﷺ أنهم يُجمعون لحربه، فبعث إليهم بريدة الأسلمي يستوثق الخبر فعلم بصحته، فخرج إليهم



وهزمهم وقتل منهم عشرة رجال وأسر تسعة عشر، ثم أطلق سراحهم النبي ﷺ.

(٣٠) غزوة الأحزاب أو الخندق:

وكانت في شوال أو ذي القعدة سنة ٥هـ، وبلغ عدد المسلمين فيها ثلاثة آلاف بقيادة النبي ﷺ في مواجهة عشرة آلاف من المشركين بقيادة أبي سفيان، وقد تحزب اليهود مع قريش والقبائل الأخرى لحرب المسلمين، فضرب المسلمون الخندق حول المدينة دفاعًا عن أنفسهم، فحاصرهم الأعداء شهرًا ثم انقلبوا خاسئين واستشهد من المسلمين ستة رجال، وقتل من الأحزاب عشرة.

(٣١) سرية عبد الله بن عتيك:

وكانت في ذي القعدة سنة ٥هـ، وقوامها من المسلمين خمسة بقيادة عبد اللَّه بن عتيك الأنصاري، في مواجهة سلام بن أبي الحقيق من يهود خيبر، وهو الذي تولى تحريض القبائل على المسلمين في غزوة الأحزاب، فقتله عبد اللَّه في مضجعه ليلاً.

(٣٢) غزوة بني قريظة:

وكانت في ذي الحجة سنة ٥ هـ، بقيادة النبي ﷺ في مواجهة بني قريظة الذين نقضوا عهدهم مع رسول اللَّه ﷺ، فأسرهم النبي ﷺ. وحكم فيهم سعد بن معاذ سيد

الأوس، فحكم بقتل أربعمائة رجل حسبما نصت التوراة التي يؤمنون بها، وأُسر منهم مائتان، واستشهد من المسلمين أربعة رجال.

(٣٣) سرية الرقطاء:

وكانت في المحرم سنة ٦هـ، وقوامها ثلاثون رجلاً بقيادة محمد بن مسلمة الأنصاري، وقوام العدو ثلاثون بقيادة ثُمامة بن أُثال الذي أسره محمد بن مسلمة وجاء به إلى النبي ﷺ، فأسلم ثُمامة بعد أن أطلق النبي ﷺ سراحه، وكان ثمامة سيد نجد.

(٣٤) غزوة بني لحيان:

وكانت في ربيع الآخر سنة ٦هـ، وكان عدد المسلمين فيها مائتي محارب بقيادة النبي ﷺ، في مواجهة بني لحيان وهم بطون من هذيل، وكانت هذه الغزوة تأديباً لأهل الرجيع الذين قتلوا عشرة من الدعاة الأبرياء، وقد فرَّ العدو وتفرّق حين علم بقدوم النبي ﷺ إليه.

(٣٥) غزوة ذي قردة أو الغابة:

وكانت في ربيع الآخر سنة ٦هـ، وقوامها خمسمائة رجل من المسلمين بقيادة النبي ﷺ وسلمة بن الأكوع، في مواجهة خيل من غطفان تحت قيادة عيينة الفزاري، وقد عدت هذه العصابة على لقاح لرسول اللّه ﷺ وقتلوا رجلاً واحتملوا زوجته، فخرج المسلمون في طلبهم ولحقوا

بهم، ونتج عن هذه المعركة أسر امرأة واستشهاد ثلاثة، وقتل رجل من العدو.

(٣٦) سرية عكاشة بن محصن الأسدي أو سرية غمر مرزوق:

وكانت في ربيع الآخر سنة ٦هـ، وقوام المسلمين أربعون رجلاً بقيادة عكاشة بن محصن، في مواجهة بني أسد الذين أجمعوا على الإغارة على المدينة؛ فبعثت إليهم هذه السرية، فتفرَّق الأعداء ولم تحدث مواجهة، وغنم المسلمون مائتين من الإبل.

(٣٧) سرية ذي القصة:

وكانت في ربيع الآخر سنة ٦هـ، وقوامها عشرة بقيادة محمد بن مسلمة في مواجهة مائة من بني ثعلبة، حيث كان عشرة من القراء قد ذهبوا يبلغونهم فقتلوهم، وجرح محمد بن مسلمة.

(٣٨) سرية بني ثعلبة:

وكانت في ربيع الآخر سنة ٦هـ، وقوامها أربعون بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، في مواجهة بني ثعلبة، وكانت هذه الغزوة رد فعل لمقتلِ القراء الذين استشهدوا في ذي القصة، وفرَّ العدو وجرح منهم واحد، ولم تحدث مواجهة، وغنم المسلمون ما كان معهم من متاع.

(٣٩) سرية الجموم:

وكانت في ربيع الآخر سنة ٦هـ، وكانت بين زيد بن حارثة



من المسلمين وبني سليم من المشركين، حيث كانت امرأة يقال لها حليمة قد دلت زيدًا على محلة من محلات بني سليم، فأسر منهم عشرة رجال أطلقهم النبي ﷺ بعد أسرهم.

(٤٠) سرية الطرف:

وكانت في جمادى الآخرة سنة ٦هـ، وقوامها خمسة عشر رجلاً بقيادة زيد بن حارثة، في مواجهة بني ثعلبة، وقد بعثت أيضًا لمعاقبة المجرمين بذي القصة، وقد هرب الأعداء وأصاب المسلمون عشرين بعيرًا.

(٤١) سرية وادي القرى:

وكانت في رجب سنة ٦هـ بين اثني عشر رجلاً من المسلمين بقيادة زيد بن حارثة، في مواجهة سكان وادي القرى، وكان زيد قد ذهب إليهم للجولة فحملوا عليه وعلى أصحابه، فقتل من المسلمين تسعة وأصيب واحد.

(٤٢) سرية دومة الجندل:

وكانت في شعبان سنة ٦هـ، وقد بعث فيها عبد الرحمن بن عوف الزهري، إلى قبيلة بني كلب بقيادة الأصبغ بن عمرو الكلبي الذي أسلم وجمعٌ كثيرٌ من قومه على يد عبدالرحمن بن عوف.

(٤٣) سرية فدك:

وكانت في شعبان سنة ٦هـ، قوامها مائتا رجل بقيادة علي ابن أبي طالب، في مواجهة بني سعد بن بكر، حيث بلغ



النبي ﷺ أن لهم جمعًا يريدون أن يمدوا يهود خيبر، فقام علـــى ومن معه بالمظاهرة عليهم، فهربت بنو سعد، وأصاب المسلمون مائة بعير وألفي شاة.

(٤٤) سرية أم قرفة:

وكانت في رمضان سنة ٦هـ، بقيادة أبي بكر الصديق، في مواجهة بني فزارة تحت قيادة أم قرفة، وكانت بنو فزارة قد أغاروا على قافلة لزيد بن حارثة بإيعاز من أم قرفة، وقد انهزم العدو وجرح منه اثنان.

(٤٥) سرية عبد اللّه بن رواحة:

وكانت في شوال سنة ٦هـ، وقوامها ثلاثون بقيادة عبد اللّه ابن رواحة، في مواجهة ثلاثين من العدو بقيادة أسير بن رزام اليهودى، وكان عبد اللّه وأصحابه رضى الله عنهم قد ذهبوا إلى أسير ليدعوه إلى رسول اللّه ﷺ، فخرجوا لمقابلته في ثلاثين رجلاً، فتحامل المسلمون واليهود ليلاً لسوء فهم، وقد جرح فيها واحد من المسلمين، وقُتل اليهود الثلاثون.

(٤٦) سرية العرنيين:

وكانت في شوال سنة ٦هـ، وقوامها عشرون رجلاً بقيادة كرز بن جابر الفهري، في مواجهة رجال من عكل وعرينة قد استوخموا المدينة، فشربوا من ألبان الإبل وأبوالها فصحوا، ثم قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الإبل، وقد قتل منهم ثمانية نتيجة عدوانهم.

(٤٧) سرية عمرو بن أمية الضمري:

وكانت في شوال سنة ٦هـ، وكان عمرو بن أمية قد قدم المدينة لقتل رسول الله ﷺ، فأسلم لما رأى من حسن خلقه ﷺ، ثم رجع إلى مكة ودعا الناس بها.

(٤٨) غزوة الحديبية:

وكانت في ذي القعدة سنة ٦هـ، وقوامها ألف وأربعمائة بقيادة النبي ﷺ الذي خرج معتمرًا هو وأصحابه، فصدته قريش بقيادة سهيل بن عمرو القرشي، ثم تم الصلح بين المسلمين وقريش لمدة عشر سنوات، ورجع النبي ﷺ بعدها.

(٤٩) غزوة خيبر:

وكانت في المحرم سنة ٧هـ، وبلغ عدد المسلمين فيها ألفًا وأربعمائة رجل وعشرين امرأة ممرضة (١٤٢٠) بقيادة النبي ﷺ، في مواجهة عشرة آلاف من يهود خيبر بقيادة كنانة بن أبي الحقيق، وقد سبق لليهود أن قاتلوا المسلمين في أحد والأحزاب، وقد كانوا يريدون بعدها غزو المدينة، فخرج عليهم النبي ﷺ في خيبر وأفسد نواياهم العدوانية، وقد نتج عن هذه الغزوة خمسون جريحًا وثمانية عشر شهيدًا في صف المسلمين، وثلاثة وتسعون قتيلاً في صف اليهود، وفتح الله للمسلمين خيبرًا.

(٥٠) غزوة وادي القرى:

وكانت في المحرم سنة ٧هـ، وبلغ عدد المسلمين فيها ألفًا

وثلاثمائة واثنين وثمانين محاربًا بقيادة النبي ﷺ، في مواجهة اليهود من سكان وادي القرى، وقد قتل فيها من الأعداء أحد عشر قتيلاً.

(٥١) غزوة ذات الرقاع:

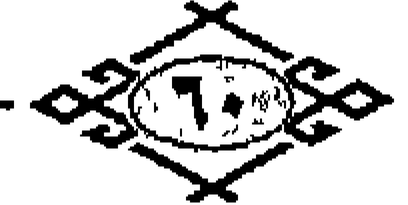
وكانت في المحرم سنة ٧هـ، وقوامها أربعمائة رجل بقيادة النبي ﷺ، في مواجهة بني غطفان وبني محارب وبني ثعلبة وبني أنمار، وقد تجمع الأعداء للإغارة على المسلمين، فلما قام المسلمون لمواجهتهم تفرق العدو.

(٥٢) سرية العيص:

وكانت في صفر سنة ٧هـ، وقوامها اثنان وسبعون محاربًا بقيادة أبي جندل وأبي بصير، في مواجهة قافلة من قريش، وكان أبو جندل قد أسلم بمكة وأسرته قريش، فلبث فيهم حبيسًا يدعو إلى الإسلام فأسلم على يديه عدد كبير، ثم فرّ هو وأصحابه ونزلوا في جبلٍ يقطعون الطريق على قوافل قريش بين مكة والشام، فردّ النبي ﷺ الأموال واستقدم أبا جندل إلى المدينة.

(٥٣) سرية الكديد:

وكانت في صفر سنة ٧هـ، وكان عدد المسلمين ستين رجلاً عليهم غالب بن عبدالله الليثي، في مواجهة بني الملوح الذين قتلوا أصحاب بشير بن سويد فبعثت إليهم هذه السرية توبيخًا، وحدث اشتباك نجم عنه جريح في صف المسلمين.



(٥٤) سرية فدك:

وكانت في صفر سنة ٧هـ، بقيادة غالب بن عبد اللَّه الليثي، في مواجهة أهل فدك، وقد قتل عدد من العدو.

(٥٥) سرية الحسمي:

وكانت في جمادى الآخرة سنة ٧هـ، وكان عدد المسلمين خمسمائة بقيادة زيد بن حارثة، وعدد المشركين مائة واثنين بقيادة الهنيد بن عوص الجزري الذي قطع الطريق على دحية الكلبي أثناء عودته بهدايا قيصر إلى رسول الله ﷺ، وقد قتل الهنيد مع ابنه وأسر الباقون، وأطلقهم النبي ﷺ بعد توبتهم.

(٥٦) سرية تربة:

وكانت في شعبان سنة ٧هـ، وكان المسلمون بقيادة عمر ابن الخطاب، في مواجهة أهل تربة، الذين تحالفوا مع بني غطفان، فقام المسلمون بالمظاهرة عليهم في محالهم وتفرَّق العدو.

(٥٧) سرية بني كلاب:

وكانت في شعبان سنة ٧هـ، بقيادة أبي بكر الصديق في مواجهة بني كلاب الذين أجمعوا على الهجوم على المسلمين مع بني محارب وبني أنمار. وقد انتصر المسلمون وسبي من الأعداء جماعة وقُتل آخرون.

(٥٨) سرية الميفعة:

في رمضان سنة ٧هـ، بقيادة غالب بن عبد اللَّه الليثى، في مواجهة أهل الميفعة الذين تحالفوا مع يهود خيبر، وقد وقع اشتباك لم يسفر عن شيء.

(٥٩) سرية خربة:

وكانت في رمضان سنة ٧هـ، في مواجهة أهل خربة، فبينما أسامة وأصحابه يمشون في الطريق إذ هبط عليهم رجل من الجبل، فقتله أسامة بعد أن قال لا إله إلا الله، وقد وبخه النبي ﷺ وعاتبه عتابًا شديدًا.

(٦٠) سرية بني مرة:

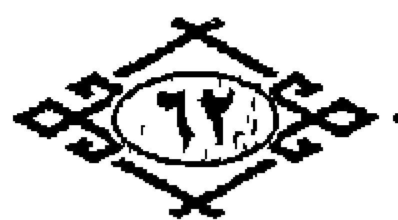
وكانت في شوال سنة ٧هـ، وقوامها من المسلمين ثلاثون رجلاً عليهم بشير بن سعد في مواجهة بني مرة الذين تحالفوا مع يهود خيبر، وقد وقع اشتباك لم يسفر عن شيء.

(٦١) سرية بشير بن سعد الأنصارى:

وكانت في شوال سنة ٧هـ، وكان عدد المسلمين ثلاثين رجلاً عليهم بشير بن سعد، في مواجهة بني فزارة وعذرة الذين ساعدوا اليهود في خيبر، فبعث إليهم النبي ﷺ هذه السرية ترويعًا لهم، وقد جُرح المسلمون وأُسر منهم رجلان، وأُسر من العدو رجلان.

(٦٢) سرية ابن أبي العوجاء:

وكانت في ذي الحجة سنة ٧هـ، وكان قوام المسلمين



خمسين رجلاً بقيادة ابن أبي العوجاء في مواجهة بني سليم حيث قام المسلمون بحشد قواهم في محال بني سليم؛ لأنهم كانوا يُجمعون للإغارة على المدينة، وقد جُرح القائد واستشهد بقية المسلمين.

(٦٣) سرية ذات أطلح:

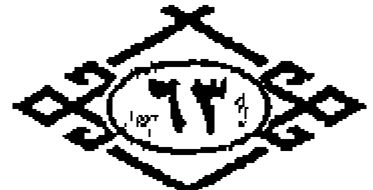
وكانت في ربيع الأول سنة ٨هـ، وكان قوام المسلمين خمسة عشر رجلاً بقيادة كعب بن عمير الأنصاري الغفاري في مواجهة أهالي ذات أطلح وبني قضاعة، حيث كانوا يجمعون في عدد كبير للإغارة على المسلمين، فأرسل النبي ﷺ إليهم كتيبة للتخويف، فاستشهد المسلمون جميعًا إلا واحدًا.

(٦٤) سرية ذات عرق:

وكانت في ربيع الأول سنة ٨هـ، وقوامها من المسلمين خمسة وعشرون رجلاً عليهم شجاع بن وهب الأسدي، في مواجهة بني هوازن وأهالي ذات عرق، وكان بنو هوازن يمدون يد المعونة لأعداء المسلمين، وكانوا قد اجتمعوا في عدد كبير على بعد خمسة منازل من المدينة، فخرج المسلمون لتخويفهم ولم يحدث قتال.

(٦٥) سرية مؤتة:

وكانت في جمادى الأولى سنة ٨هـ، وكان قوام المسلمين ثلاثة آلاف محارب عليهم زيد بن حارثة في مواجهة مائة



ألف بقيادة شرحبيل الغساني الذي قتل الحارث بن عمير الأزدي رسولَ رسولِ الله ﷺ فوقعت لذلك الحرب، واستشهد من المسلمين اثنا عشر رجلاً، وانتصر المسلمون على عدوهم، ولم يعرف عدد قتلاهم.

(٦٦) سرية ذات السلاسل:

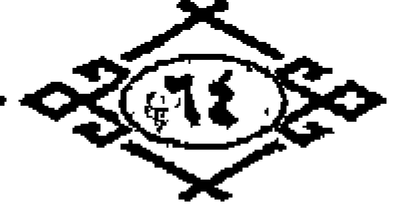
وكانت في جمادى الآخرة سنة ٨هـ، وكان قوام المسلمين خمسمائة عليهم عمرو بن العاص القرشي السهمي في مواجهة بني قضاعة ساكني ذات السلاسل، حيث تجمع الأعداء للإغارة على المدينة، فتظاهر عليهم المسلمون ففروا هاربين.

(٦٧) سرية سِيف البحر:

وكانت في رجب سنة ٨هـ، وكان عدد المسلمين ثلاثمائة بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، في مواجهة قريش، وقد أقام المسلمون على الساحل أيامًا ثم انصرفوا، وقد كان الغرض من هذه السرية تشتيت همم قريش.

(٦٨) سرية محارب:

وكانت في شعبان سنة ٨هـ، وكان عدد المسلمين خمسة عشر رجلاً يقودهم أبو قتادة الأنصاري، في مواجهة بني غطفان ساكني الخضرة الواقعة في نجد، وقد كانت هذه السرية استطلاعية، وقد هرب العدو خائفًا وأصاب المسلمون أنعامًا.



(٦٩) غزوة فتح مكة:

وكانت في رمضان سنة ٨ هـ، وقد كان عدد المسلمين عشرة آلاف رجل بقيادة النبي ﷺ، وقد انتصر المسلمون واستشهد اثنان، وقُتل من المشركين اثنا عشر رجلاً.

(٧٠) سرية خالد بن الوليد:

وكانت في رمضان سنة ٨هـ، وقد كان الغرض منها هدم الصنم العزى، وكانت العزى صنمًا لبني كنانة، فحطمها خالد رضي اللَّه عنه.

(٧١) سرية عمرو بن العاص:

وكانت في رمضان سنة ٨هـ، وقد كان الغرض منها هدم الصنم سواع، وهو صنم لبني هذيل فحطمها عمرو رضي اللَّه عنه.

(٧٢) سرية سعد الأشهلي:

وكانت في رمضان سنة ٨هـ، وكان الغرض منها هدم الصنم مناة، وهو صنم قبيلتي الأوس والخزرج، فهدمها سعد رضي اللَّه عنه.

(٧٣) سرية خالد بن الوليد:

وكانت في شوال سنة ٨هـ، وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وخمسين رجلاً عليهم خالد بن الوليد، في مواجهة بني جذيمة، وكان النبي ﷺ قد بعث خالدًا داعيًا، وكان بنو جذيمة قد أسلموا من قبل وشك خالد في إسلامهم فقتل

منهم رجالاً، فكره رسول اللَّه ﷺ قتلهم وتبرأ من صنيع خالد رضي اللَّه عنه وودى بهم الدية.

(٧٤) غزوة حنين أو أوطاس أو هوازن:

وكانت في شوال سنة ٨هـ، وكان قوام المسلمين اثني عشر ألف محارب يقودهم النبي ﷺ، في مواجهة قبائل بني هوازن وبني ثقيف وبني معز وبني أحسم، وقد استشهد من المسلمين ستة، وقتل من المشركين واحد وسبعون وجُرح وأُسر ستة آلاف، وقد انتصر المسلمون وأطلق النبي ﷺ سراح الأسرى بلا عوض.

(٧٥) غزوة الطائف:

وكانت في شوال سنة ٨هـ، وكان قوام المسلمين اثني عشر ألف محارب يقودهم النبي ﷺ، في مواجهة بني ثقيف، وقد حاصرهم النبي ﷺ شهراً، ولما فك عنهم الحصار أسلموا، وقد جرح من الفريقين عدد كبير.

(٧٦) سرية عيينة بن حصين:

وكانت في المحرم سنة ٩هـ، وكان قوام المسلمين مائة وخمسين راكبًا عليهم عيينة بن حصين الفزاري، في مواجهة قبيلة من بني تميم، قامت هذه القبيلة بإغراء القبائل التابعة لها، ومنعتها عن أداء الجزية، ولما خرج إليهم عيينة هربوا، وأُسر منهم أحد عشر رجلاً وإحدى وعشرين امرأة وعشرين ولدًا، وأطلقهم النبي ﷺ حين قدم عليه سيدهم.



(٧٧) سرية قطبة بن عامر:

وكانت في صفر سنة ٩هـ، وكان عدد المسلمين عشرين رجلاً عليهم قطبة بن عامر، في مواجهة قبيلة خثعم؛ وذلك أنهم كانوا يدبرون مؤامرة ضد المسلمين، وجاء قطبة ببعضهم أسيرًا، فأطلقهم رسول اللّه ﷺ.

(٧٨) سرية الضحاك بن سفيان الكلابي:

وكانت في ربيع الأول سنة ٩هـ بقيادة الضحاك رضي اللّه عنه في مواجهة قبيلة بني كلاب، حيث بعث رسول اللّه ﷺ بعض المسلمين إلى بني كلاب داعين لهم، فاعترضهم الكفار ووقع اشتباك لم يسفر عن شيء.

(٧٩) سرية عبد اللّه بن حذافة السهمي:

وكانت في ربيع الأول سنة ٩هـ، وكان قوام المسلمين ثلاثمائة محارب بقيادة عبد اللّه بن حذافة السهمي؛ لمواجهة القراصنة من الحثميين الذين تجمعوا في ساحل جدة للإغارة على مكة، فتفرقوا عندما رأوا هذه السرية.

(٨٠) سرية بني طيء:

وكانت في سنة ٩هـ، وقد كان قوام المسلمين مائة وخمسين رجلاً بقيادة علي بن أبي طالب؛ لمواجهة بني طيء، وقد أسر منهم جمع منهم سفانة بنت حاتم الطائي، وقد أطلق النبي ﷺ سراح جميع الأسرى، وعامل سفانة بإكرام بالغ.



(٨١) غزوة تبوك:

وكانت في رجب سنة ٩هـ، وكان قوام المسلمين ثلاثين ألفًا يقودهم النبي ﷺ في مواجهة الروم بقيادة قيصر؛ حيث بلغ النبي ﷺ أن هرقل يريد الإغارة على المدينة؛ ليغسل العار الذي لحقه في مؤتة، فخرج النبي ﷺ إلى الثغور، فأصاب الذعر الأعداء فقعدوا عن الحرب.

(٨٢) سرية دومة الجندل:

وكانت في سنة ٩هـ، وكان قوام المسلمين فيها أربعمائة رجل عليهم خالد بن الوليد، وقد انتهت بأسر أكيدر أمير دومة الجندل وقتل أخيه، وقد أطلق النبي ﷺ سراح أكيدر، وعقد الحلف مع حكومات نصرانية أخرى.

والجدول الآتى يعطينا صورة بيانية عن هذه الآثار كالآتي:

الغـزوة	شهداء المسلمين	قتلى المشركين	الملاحظة
بدر	١٤	٧٠	
أحد	٧٠	٢٢	
الخندق	٦	٣	لم يدخل اليهود فى هذه الإحصائية؛ لأن لهم حكمًا آخر بسبب خيانتهم، فهم قُتلوا بناء على حكم قضائي لا بسبب الحرب، فقد كان قتلهم للخيانة العظمى.
بنو المصطلق	—	٣	
خيبر	١٩	—	
بئر معونة	٦٩	—	
مؤتة	١٤	١٤	
حنين	٤	٧١	
الطائف	١٣	—	
معارك أخرى	١١٨	٢٥٦	
المجموع	**٣٢٧**	**٤٣٩**	٧٦٦ من الجانبين

وبعـــد.. فـقـد بـدا لـلـنـاظـرين واضـحًا وجليًّا أن الإسلام ـ متمثلاً في شخص رسول اللَّه ﷺ ـ أبعد ما يكون عن حمل الناس على اعتناق الإسلام بالسيف، وهو الذى قال ﷺ لأعدائه بعدما قدر عليهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». هكذا دون شرط أو قيد، أقول: حتى دون اشتراط الإسلام.

والنتائـــج الحقيقيـــة:

(١) القضاء على أحداث السلب والنهب وتعزيز الأمن العام في بلاد تفوق مساحتها مساحة فرنسا بضعفين.

(٢) إحلال الأخوة والروحانية محل العداوة والبغضاء.

(٣) إثبات الشورى مكان الاستبداد[1].

هذا وقد وضع رسول اللَّه ﷺ ضوابط وقيودًا كان من شأنها أن تحدِّد وظيفة الجهاد في نشر الإسلام في ربوع المعمورة، دون سفك للدماء ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

ومن هذه الضوابط قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾[2].

فإن كان بين المسلمين والكفار عهد أو أمان؛ فلا يجوز للمسلمين الغدر حتى ينقضي الأمد، فإن خاف المسلمون من أعدائهم خيانة بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم، فحينئذ يخبرهم المسلمون أنه

(١) رحمة للعالمين ص ٤٦٩.

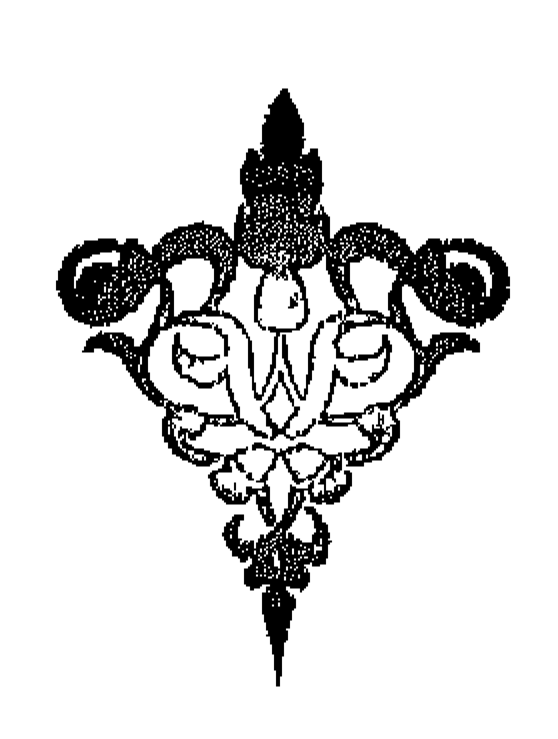
(٢) الأنفال: ٥٨.



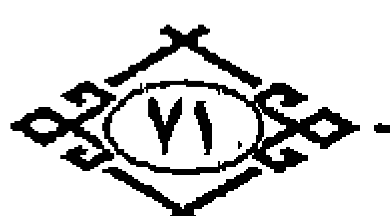
لا عهد بيننا وبينكم حتى يستوي علم المسلمين وعلم أعدائهم بذلك.

ودلت الآية على أنه إذا وجدت الخيانة المحققة من الأعداء لن يحتاج أن ينبذ إليهم عهدهم؛ لأنه لم يخف الخيانة، بل علم بها.

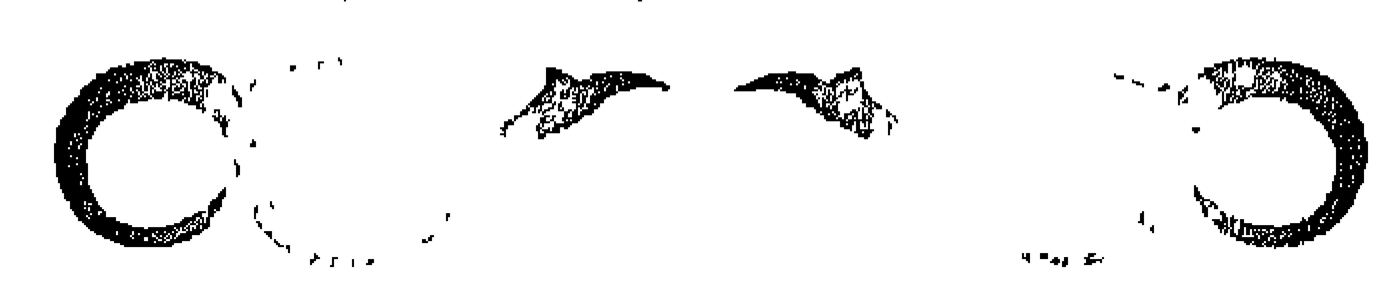
ودل مفهوم الآية أيضًا أنه إذا لم يخف منهم خيانة بأن يوجد منهم ما يدل على ذلك، فلا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته[1].



(١) تفسير ابن كثير ٢/٣٢١.



انتشار الإسلام



معدلات انتشار الإسلام:

الذي يؤكد على الحقيقة التي توصلنا إليها ـ وهي أن انتشار الإسلام كان بالدعوة لا بالسيف ـ أن انتشار الإسلام في الجزيرة العربية وخارجها كان وفق معدلات متناسبة تمامًا من الناحيتين الكمية والكيفية، مع التطور الطبيعي لحركة الدعوة الإسلامية، ولا يوجد في هذه المعدلات نسب غير طبيعية أو طفرات تدل على عكس هذه الحقيقة حيث: «يجب أن نربط بشكل متكامل بين بدايات الأصالة في العلوم والتكنولوجيا الطبيعية الإسلامية خاصة، وبين نسبة المسلمين وحديثي الإسلام إلى نسبة رجال العلم والمعرفة من المسلمين وحديثي الإسلام بالازدياد الكمي والكيفي في عدد ومعدل المسلمين بين سكان البلاد المسلمة آنذاك، ويجب أن نلاحظ حقيقة أن نمو العلوم الإنسانية/ الاجتماعية الإسلامية الحديثة، أو نمو الثقافة الأيديولوجية الإسلامية عامة قد حدث في مستهل القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، مما حقق زخما في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، فعلى سبيل المثال: أحدث هذا إنشاء مدارس للفكر القانوني والفلسفي الإسلامي، ويجب أن نتعرف على الفترات الزمنية الفاصلة وتسلسلها بين مستهل فترة الإبداع والإنتاج في الثقافة



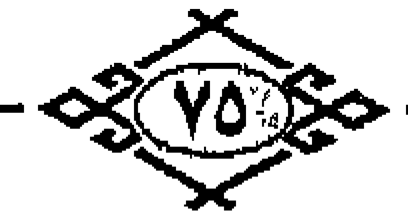
التكنولوجية الإسلامية منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي وما بعده كنتيجة للثقافة الأيديولوجية الإسلامية، وتعتمد منحنيات الدخول في الإسلام في بلاد فارس والعراق وسوريا ومصر والأندلس على بعض المعلومات والتقييمات لـ «بوليت»، وأي استقراء تقريبي للجدول الآتي يبين عدد السنوات التي انقضت حتى أصبح عدد المسلمين ٥٪ من مجموع السكان أو أقل ثم ٢٥٪ ثم ٥٠٪ ثم ٧٥٪ من مجموع السكان الكلي، ويتماشى نمو المسلمين الكمي في عدد السكان مع النمو الكيفي للثقافتين الأيديولوجية والتكنولوجية الإسلاميتين، وأصبح حديثو الإسلام الذين تثقفوا تمامًا بالثقافة الأيديولوجية الإسلامية قادة في الثقافتين الإسلاميتين اللتين كانتا توحيديتين أو متكاملتين تمامًا، على الرغم من متطلبات التخصص والاختلاف المتنامي بين المهن، وهذا الجدول يوضح نسبة الدخول في الإسلام من القرن الأول الهجري حتى الرابع الهجري/ السابع حتى العاشر الميلادي:

السنوات بالهجري	فارس	العراق	سورية	مصر	الأندلس
نسبة المسلمين مع نهاية أول مائة عام.	٥٪	٣٪	٢٪	٢٪	أقل من ١٪
السنوات التي صارت النسبة فيها ٢٥٪ من السكان.	١٨٥	٢٢٥	٢٧٥	٢٧٥	٢٩٥
السنوات التي صارت النسبة فيها ٥٠٪ من السكان.	٢٣٥	٢٨٠	٣٣٠	٣٣٠	٣٥٥
السنوات التي صارت النسبة فيها ٧٥٪ من السكان.	٢٨٠	٣٢٠	٣٨٥	٣٨٥	٤٠٠

■ **حسبت السنوات منذ عام ١٣ قبل الهجرة عندما بدأ تنزيل القرآن الكريم.**

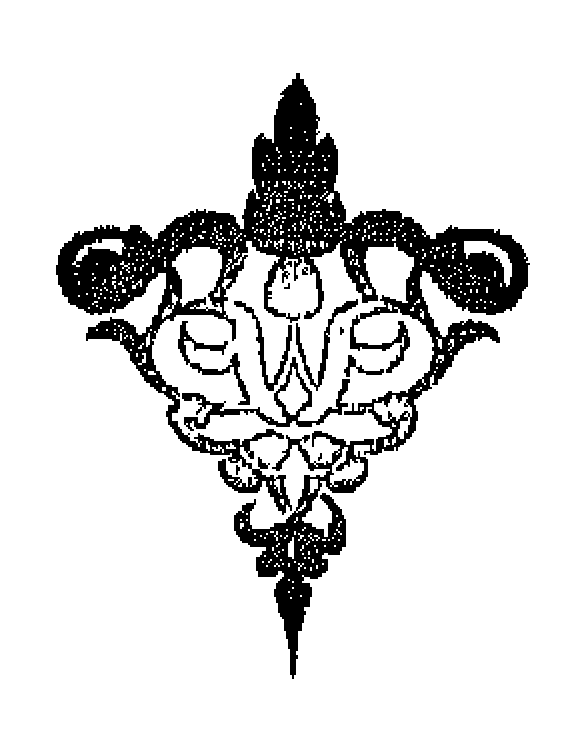
وتوضح معلومات أخرى أن شعب شبه الجزيرة العربية كان الشعب الأول في الدخول في الإسلام، وقد أصبح معظمهم مسلمين في العقود الأولى بعد تنزيل القرآن الكريم.

وهكذا كان عدد العرب المسلمين يفوق عدد المسلمين من غير العرب في البداية، ومهدوا الطريق للتثاقف الإسلامي والتعريب من أجل المسلمين غير العرب، ولم يمض وقت طويل على هؤلاء في أصولهم من أديان ومذاهب متعددة من كل الأمم والحضارات السابقة.



كان على هؤلاء جميعًا أن يوظفوا بشكل موحد عمليات نـوأمـيـة لـلـتـقـلـيـد والابـتـكـار في وقت واحـد، وذلك حسب خلفياتهم الأصلية تحت التأثير الثوري والمتحول الأكثر عمقًا للفكر الإسلامي ومؤسساته، وقاموا عن طريق عملية التنسيق المزدوجة بتنقية تراثهم من علوم وتكنولوجيا وفلسفات عصر ما قبل القرآن الكريم، وذلك إما بالقبول الجزئي أو الرفض الجزئي، وقـامـوا كـذلك بـالابـتـكـار مـن خـلال انـطـلاقـهـم من أنـظـمـتـهـم الـفـكـريـة الـحـسـيـة وتـراثـهـم في ضـوء الـقـرآن الـكـريـم والسنة.

ومن هنا ولدت العلوم الإسلامية والتكنولوجيا الإسلامية والحضارة الإسلامية الحديثة متناسبة مع الأيديولوجية والرؤية الإسلامية الشاملة»[1].



(١) الفكر الإسلامي في تطوير مصادر المياه والطاقة، د. سيد وقار أحمد حسيني ـ عالم زائر في جامعة ستانفورد ٧١–٧٥، ترجمة د. سمية زكريا زيتوني طبعة: فصلت للدراسات والترجمة والنشر.

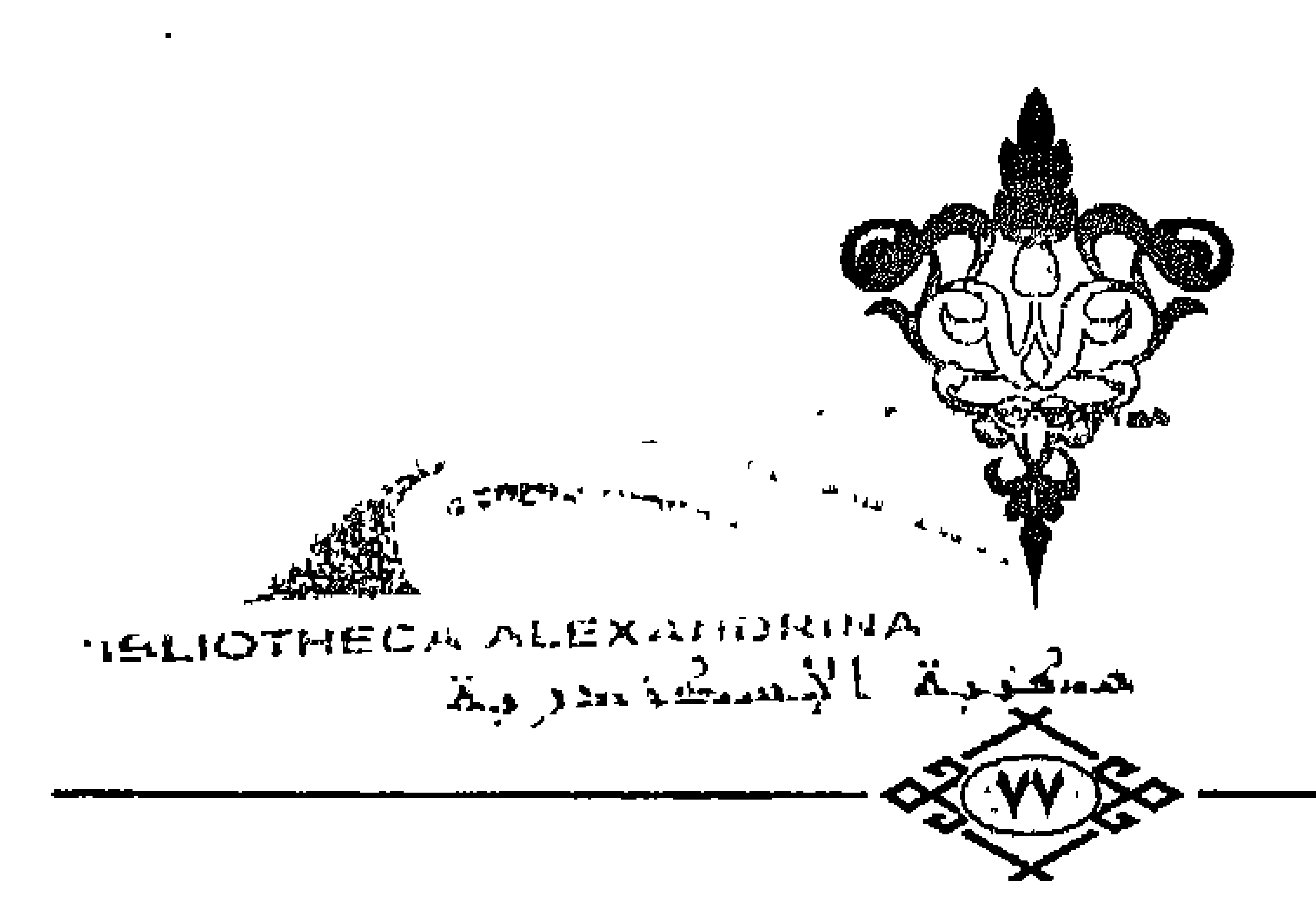
Richard W. bulliet, Conversion of Islam and emergence of a Muslim Society in Iran in conversion to Isla, ed. (Nehemia Levizion) (New Your Holmes and Meier Pupl., Inc. 1979) Pp. 30-51 p31 for fig. 1.1.).



ولابد أن نشير إلى خصائص ذلك الانتشار:

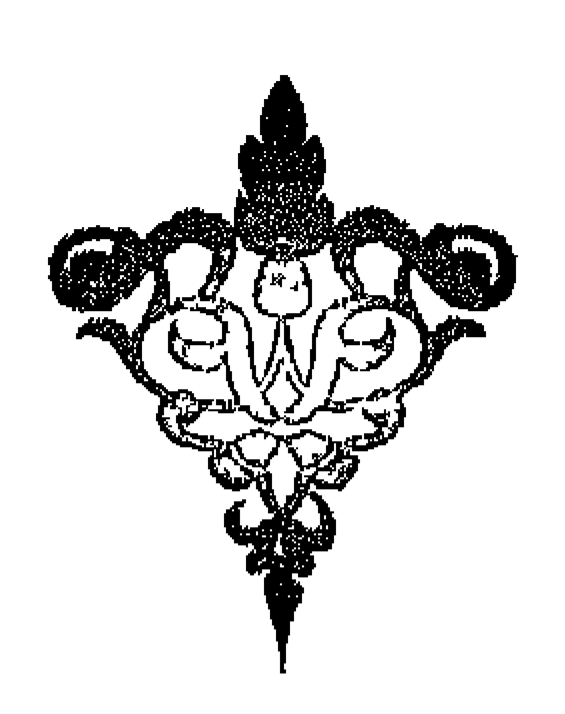
- □ عدم إبادة الشعوب.
- □ جعلوا العبيد حكامًا.
- □ لم يفتحوا محاكم تفتيش.
- □ ظل اليهود والنصارى والهندوك في بلادهم.
- □ تزاوجوا من أهل تلك البلاد وبنوا أُسرًا وعائلات على مر التاريخ.
- □ ظل إقليم الحجاز ـ مصدر الدعوة الإسلامية ـ فقيرًا إلى عصر البترول في الوقت الذي كانت الدول الاستعمارية تجلب خيرات البلاد المستعمرة إلى مراكزها.
- □ تعرضت بلاد المسلمين لشتى أنواع الاعتداءات (الحروب الصليبية ـ الاستعباد في غرب إفريقيا ـ إخراج المسلمين من ديارهم في الأندلس وتعذيب من بقي منهم في محاكم التفتيش).

ونخلص من هذا كله إلى أن تاريخ المسلمين نظيف، وأنهم يطالبون خصومهم بالإنصاف والاعتذار، وأنهم لم يفعلوا شيئًا يستوجب الاعتذار حتى التاريخ المعاصر.



محتويات الكتاب

الموضوع الصفحة



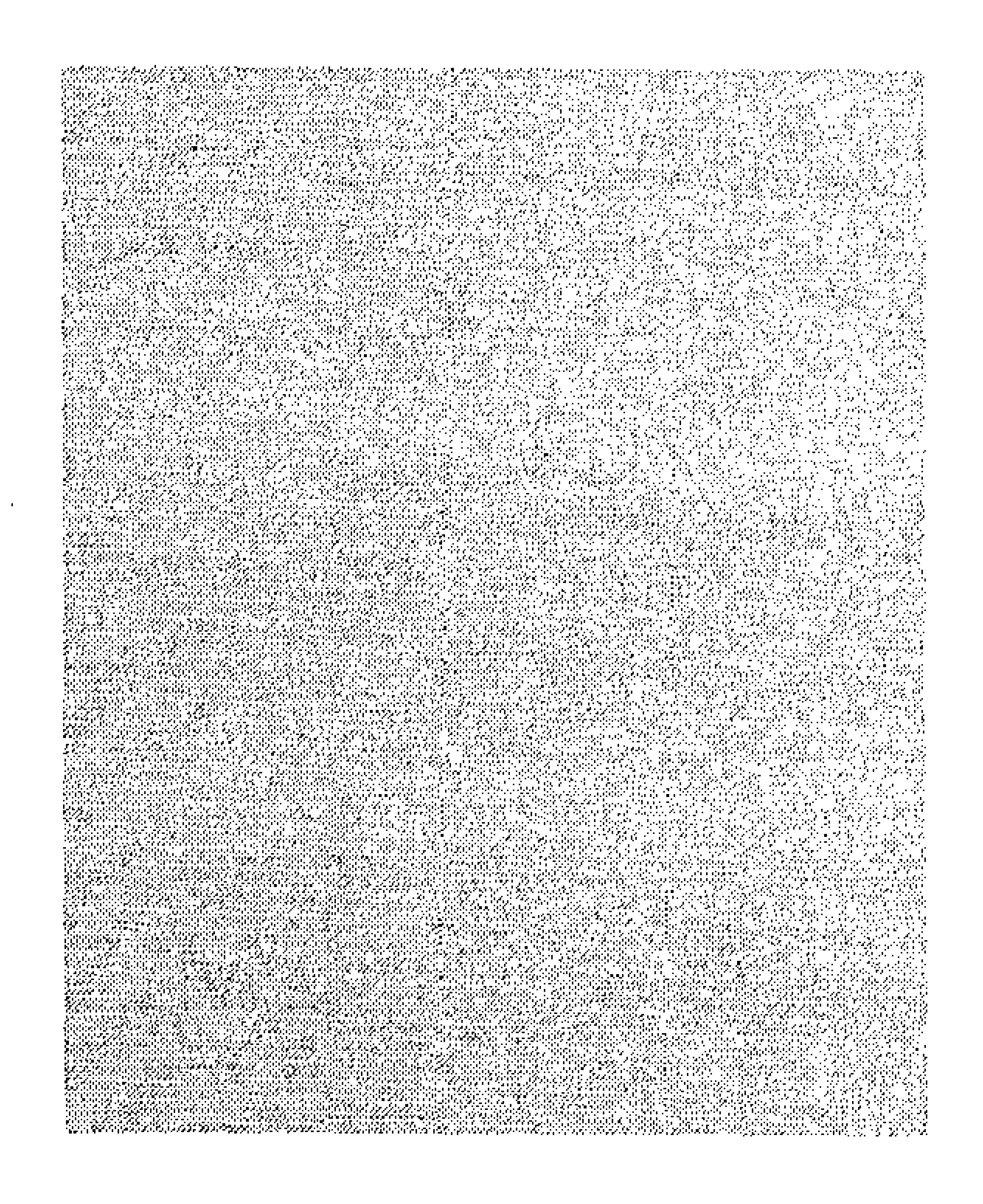
أحـــدث إصـــدارات

الأستـــاذ الدكتـــور

علـــي جمعـــة

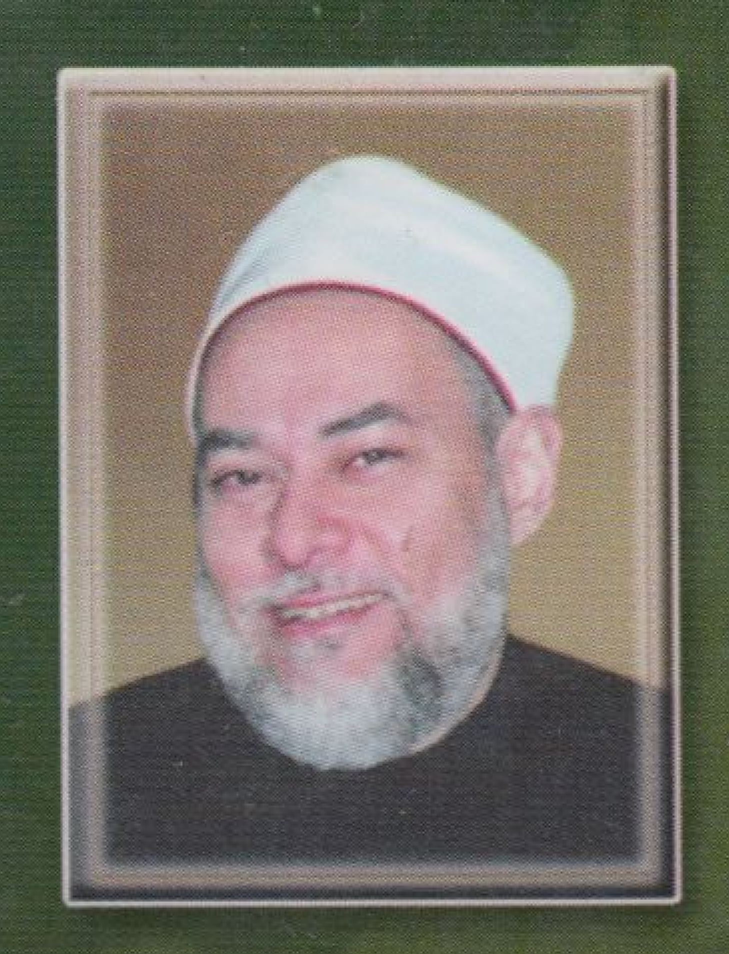
بنهضة مصر

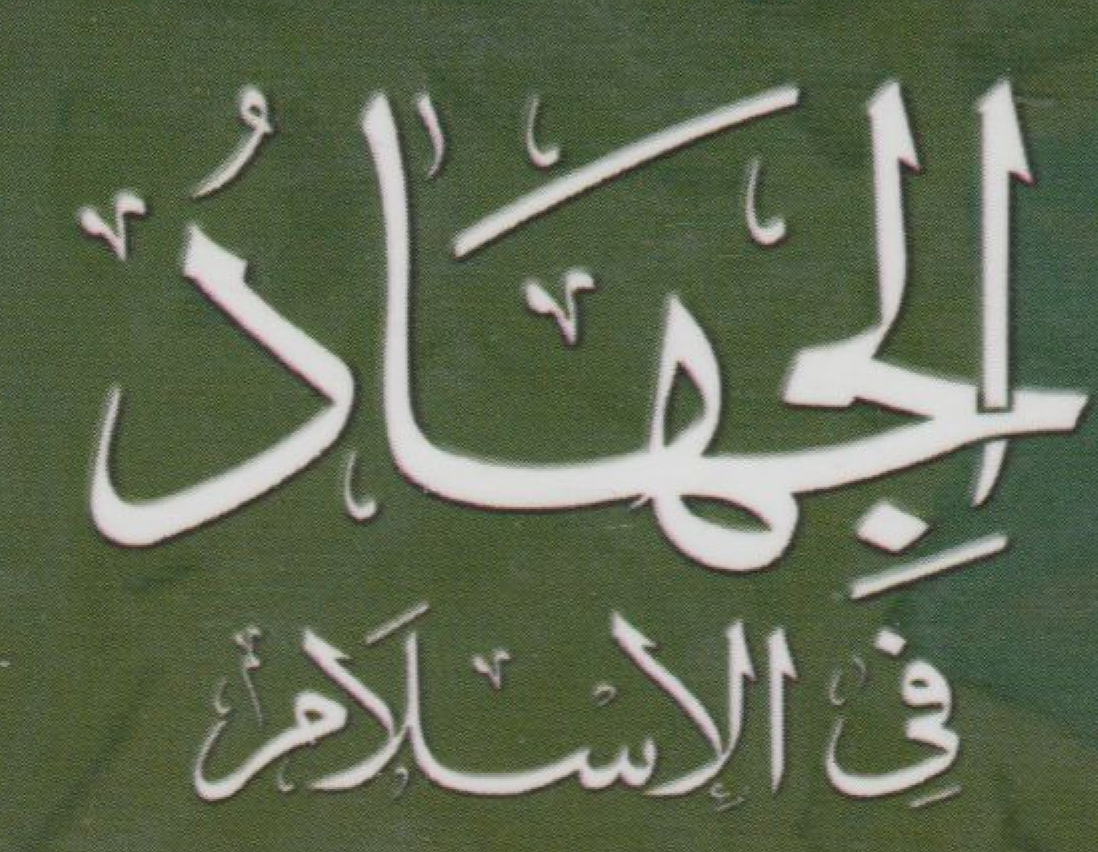
- الطريق إلى التراث الإسلامي «مقدمات معرفية ومداخل منهجية».
- الدين والحياة «الفتاوى العصرية اليومية».
- النسخ عند الأصوليين.
- الجهاد في الإسلام.




نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع







الجهاد فى الإسلام من أنقى أنواع الحروب هدفًا وأسلوبًا وشروطًا وضوابط ونتائج.

ورغم وضوح مفهوم الجهاد الإسلامى فإنّ التعصب و التجاهل لحقيقة الدين الإسلامى الحنيف، والإصرار على جعله عدوًّا وطرفًا فى صراع - قد أحدث لبسًا شديدًا فى هذا المفهوم.. مفهوم الجهاد.. حتى شاع أن الإسلام قد انتشر بالسيف، وأنه يدعو للحرب والعنف.. وهو ما يوضح الافتراء على هذا الدين السمح، وخلط الأوراق رغبة فى تشويه صورته.

يتناول الكاتب هذا الموضوع موضحًا الرؤية الصحيحة لمفهوم الجهاد من واقع
والسنة، ومطبقًا ما حدث عبر القرون
التى شارك فيها النبى ﷺ وانتهاءً بعص





